

على الغاياتى

# وطنيتى

وأشعار أخرى

الديوان الذى صور فور صدوره وسجن  
بسببه الزعيم محمد فريد والشيخ عبدالعزيز  
جاويش وفر صاحبه إلى اسطنبول وجنيف .

مقدمة بتوقيع الزعيم: محمد فريد

مقدمة بتوقيع الشيخ: عبدالعزيز جاويش

دراسة

أحمد حسين الطماوى

الطبعة الرابعة

٢٠١٠

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

ت: ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٥٧٤

٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠١٢٩٩٦١٦٢٥

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٠ / ١٤٠٦٤

## تمهيد

ديوان وطنيتى من أشهر الدواوين الشعرية التى ظهرت فى العصر لحديث، وقد أدرك هذه الشهرة الذائعة لارتباطه بأحداث جسام مرت بها مصر، وله قضية جنائية ظاهرة تعرف «بقضية وطنيتى» التى سجن فيها الزعيم محمد فريد بك لكتابته مقدمة للديوان، وحبس فيها الشيخ عبدالعزيز جاويش بسبب كتابته مقدمة أخرى له، وفر بسببه ناظم الديوان الشيخ على الغاياتى، من وجه القضاء إلى الأستانة وجنيف .

وقد انشغلت الصحف الكبرى بهذه القضية التى أريق فيها حبر غزير عام ١٩١٠ وبعده، حتى صارت جزءاً من تاريخ الصحافة، فضلاً عن أن هذه القضية باتت فصلاً مهماً من فصول كتاب يؤرخ للحزب الوطنى الذى أنشأه الزعيم مصطفى كامل .

ولا يسرد مؤرخ سيرتى محمد فريد، وعبدالعزيز جاويش، إلا «قضية وطنيتى» داخلة فيهما، لأنهما طرفان أساسيان فيها، مثل كتاب عبدالرحمن الرافعى عن محمد فريد، وكتابتى أنور الجندى وحسن الشيخة عن عبدالعزيز جاويش .

كذلك ترجع أهمية هذا الديوان إلى أن الحديث عنه تجدد عدة مرات فى زمن طويل، فقد ظل حديث الصحف والمجالس فى عامى ١٩١٠ و١٩١١ أثناء نظر القضية، وصدور حكمين فيها، وما أن هدأت زوبعته حتى تجدد الحديث فيه على أثر نشر قصيدة للغاياتى عنوانها «عيد الكنانة . . عيد الأمير» فى مطلع عام

١٩١٢ تراجع فيها عن مواقفه السابقة، وعندما عاد الغيايتى بصورة نهائية إلى مصر عام ١٩٣٧، وأصدر جريدته «منبر الشرق» عام ١٩٣٨ حتى أخذ يخبر الناس بحقيقة ما جرى وكيف فر من مصر متنكراً في الزي الإفرنجى . . وتواصلت ذكرياته في قضية وطنيتى فى كثير من أعداد منبر الشرق .

ويشكل هذا الديوان المحور الرئيسى فى الكتب الكاملة التى نشرت عن على انغيايتى، كما أنه أحد أبواب كتابين صدرا عن « شعراء الوطنية » هما كتابا الرافعى ومختار الوكيل .

وقد كان الشاعر على الغيايتى يزعم نشر الجزء الثانى من ديوانه تحت اسم « هجرتى » أى ما قاله من شعر بعد فراره من مصر، ولجؤه إلى اسطنبول وسويسرا، ولكن هذا الجزء الثانى، أو ديوان « هجرتى » لم يصدر لا فى حياة الشاعر ولا بعد موته، وله قصائد متفرقة فى « منبر الشرق » وفى بعض الصحف القديمة، وقصيدة صغيرة فى كتابه « على هامش الحج » لا تكون ديواناً، وربما يكون هذا ما صرفه عن إصدار ديوان « هجرتى » .

ولما كانت طبعة « وطنيتى » الأولى المصادرة عام ١٩١٠، والثانية عام ١٩٣٨، والثالثة عام ١٩٤٧، وجميعها نفذ، فإننى رغبت فى إصدار طبعة رابعة منه كما نشر من قبل، وأضفت إليه فى ملحق منفصل أكثر من ثلاثمئة بيت من الشعر الذى قاله فى هجرته، وجعلت عنوانه « هجرتى » وهى تسميته . وللغيايتى قصائد أخرى قد تتاح لنا الفرصة لجمعها فيما بعد .

والله المستعان .

أحمد حسين الطماوى

القاهرة فى ٢٩ من مارس ٢٠١٠م

## على الغاياتى وقضية وطنيتى

وُلد على الغاياتى فى مدينة دمياط سنة ١٨٨٥، وتلقى تعليما دينيا فى جامع البحر بدمياط التابع للأزهر الشريف، وظل فى دمياط إلى أن بلغ الثانية والعشرين من عمره، وكانت له تطلعات أدبية، فقد نظم قصيدة وهو فى دمياط نشرتها له جريدة «الوطن»، وبعد سنوات أعادت نشرها فى مناسبة قضية وطنيتى، وتكشف القصيدة عما كان يلاقيه من فقر وعوز وضيق، وقد انطبع ذلك فى القصيدة التى جعل عنوانها «إلى الله.. حرية الشكوى بين العبد وربّه»، ويقول فيها:

خَلقت العباد وأرزاقهم      فمنهم سعيد ومنهم شتى  
وقد ساء حالى بين الورى      كـأنى يارب لم أخق  
فإن أك عبدا فمَن رازقى      وها أنا لآن لم أرزق

ثم جاء إلى القاهرة عام ١٩٠٧، وحرر بجريدة «الجوائب المصرية» لصاحبها خليل مطران، ووقعت فتنة دينية فى دمياط، فكتب مقالات انتصر فيها للحق والعقل، وأنكر الخرافة والجهل، فدبر له المشايخ مكيدة، كان من نتائجها طلبه للقرعة العسكرية، والتحقيق معه، والزج به فى السجن مدة اثنى عشر يوما، ثم أُطلق سراحه.

وقد تجلت له فى أيام السجن قسوة الإنسان، ورغبة السّجان فى إنزال العذاب على السجين، وانصرافه عن الرحمة والرأفة، وترك ذلك فى نفسه آثارا ظلت تلازمه، وتغالبه، وتجعله يخشى السجن، ويستدفع أذاه.

وفى تلك الأثناء أخذ ينشر شعره منذ ١٩٠٧ فى «الوطن» و«المؤيد» و«الدستور»، ثم فى جرائد الحزب الوطنى مثل «اللواء»، واستطاع فى فترة وجيزة أن يكون صداقات مع مجموعة من الكتّاب والشعراء منهم عبدالرحمن شكرى ومحمد لطفى جمعة، وإمام العبد، وسليمان فوزى «صاحب مجلة الكشكول فيما بعد» وعبدالرحمن ومين الرافعى، فضلا عن حافظ إبراهيم، و خليل مطران، وإسماعيل صبرى باشا، وبعضهم أعضاء فى الحزب الوطنى، وقد ذكر أسماء هؤلاء فى كتاباته، وهو يسرد ذكرياته.

وانتمى إلى الحزب الوطنى، ويقول فى أحد هوامش «وطنيتى»: «التحقت .. بالحزب الوطنى، واعتُبرت من أعضائه العاملين فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٧» بينما يقول إسماعيل حافظ صاحب امتياز جريدة «العلم»، فى التحقيق الذى أجرته معه النيابة فى قضية وطنيتى: «لم يكن، أى الغاياتى، إلا مصححا بسيطا بجرائد الحزب، منتميا إليه انتماء يبعث من ورائه الشهرة الذائعة والصيت الطائر دون أن يكون عضوا فيه»<sup>(١)</sup>.

وربما يكون نفى إسماعيل حافظ لعضويته فى الحزب الوطنى أمام النيابة، لصالح القضية، وحتى إذا كان اسم الغاياتى غير مدون بسجلات الحزب، فإنه عاش سنوات فى كنفه، واختلجت مبادئه فى نفسه، مع ظهور انقياده لزعمائه، وكل هذا يجعله من أفراد الحزب. وكان الحزب الوطنى زمن مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ومعهما أحمد لطفى وعبدالعزیز جاویش، محبوبا من الشعب، وكان المثقفون والطلاب المتعلمون، والحاصلون على الشهادات العالية يجدون ملاذهم فيه، هذا إلى جانب أن صحفه كثيرة منها «اللواء» و«العلم» و«الشعب» وغيرها، وكل هذه الجرائد فيها كتّاب ولها قراء، ومن هنا كان الحزب يمثل رعبا للحكومة والحدیو والإنجليز وبخاصة فى زمن ما عرف بالوفاق بين عباس وغورست.

(١) جريدة البلاغ المصرى ١٩/٧/١٩١٠.

لا أريد أن أكتب تاريخاً للحزب الوطني، وإنما أرغب في القول أن مكانة الحزب هذه جعلت الغاياتي شجاعاً قويا، يترجم الأحداث السياسية والمندسبات لوطنية شعراً حماسياً ثورياً، ولا يجفل أو يتخاذل، أو يهاب الحكومة أو الخديو أو الإنجليز.

وبينما كان الشعراء أو معظمهم يسيرون على وتيرة واحدة في قصائدهم لمادحة والمهنة للخديو كلما واتت مناسبة، إرضاءً له، أو طمعاً في عطائه، نجد الغاياتي لا يتخشع له، ويخاطبه بشعر عاطل من المدح، يمثل أفكار الحزب، ويعتبر عليه، غير مقدر لمكانته السامية مثل قوله:

أعباس هذا آخر العهد بيننا      فلا تخش منا بعد ذاك عتابا  
أيرضيك فينا أن نكون أدلة      ننال إذا رمنا الحياة عقابا  
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى      إلى آخره  
ويتهجم على الحكومة، ويرميها بالفاظ السباب، وبالشتم الصادع، وينقم عليها قائلاً:

ألا أمطر الله الوزارة نقيمةً      ولا بلغت مما تروم مراما  
ويتحرش بالإنجليز كثيراً وينعتهم بالنعوت الذميمة، والأوصاف المعيبة مثل الظلم والاعتصاب، وزاد في التحرش بهم بالنظم في « دنجرا » الطالب الهندي الذي قتل وزيراً إنجليزياً في حكومة الهند، وحكم عليه بالإعدام، فقد حيّاه قبل إعدامه، ورثاه بعد موته، ووصفه بالشجاعة والشهامة والقوة والغيرة على وطنه، وقال في رثائه.

دفعتك الحياة للموت حتى      لم يردعك القضاء والإعدام  
مت بالأمس، والمات حياة      خلدها لذكرك الأيام

فلم يستنكر مقتى الوزير الإنجليزي، وإنما أرسل التحية إلى قاتله، وهو بهذا يؤيد الكفاح المسلح ضد المحتل .

وهو لا يعبأ بالتحذيرات الحكومية، ولا تُروع نفسه إذا أهملها، ومضى إلى غايته دون اكتراث، فعندما قتل إبراهيم الوردانى رئيس الحكومة بطرس غالى لأسباب سياسية، حطر على الناس ذكر الوردانى، حتى إن شاعرا نظم قصيدة فى ورد الربيع فجرى تحقيق معه، فى هذا الجو المضطرب نظم الغياتى أكثر من منظومة فى حادث القتل هذا ومما قاله :

طلقات نار أم صعان مهند      أودت ببطرس من يد الوردانى  
وافاه إبراهيم مجترنا على      ما كان من بأس ومن سلطان  
ورماه عن كشب بست عجلت      خطوات عزرائيل بالأكفان

وعندما حكم القاضى بإعدام لوردانى، أشاد الغياتى بثباته وهو يسمع إلى الحكم، فجرأة الغياتى هذه وعدم مبالاته، مردها إلى انتسابه إلى الحزب الوطنى، ومكانته الراسخة، ولم يكن يتصور أن الشرطة يمكن أن تطارده، وتقفو أثره إلى أن تقبض عليه؛ لذلك أرخى العنان. لقلمه الوثاب، وكان يقول: « . . لدى يراع لا يهاب نضالا » فلا شك أن كان ينظم قصائده الهجائية والهجومية بحرية وهو فى حى الحزب الوطنى، ويمكن أن نضيف إلى ذلك سببا آخر، وهو رغبته فى مسaire الرأى العام، والتعبير عما يجيش فى النفوس، ثم إن زعماء الحزب الوطنى، كانوا يسعون فى خطبهم وصحفهم إلى إثارة الجمهور، وحفزه على مقاومة الاحتلال، وكان شعر الغياتى الحمسى يتماشى مع كل ذلك لنزعة وطنية فيه .

### صدور وطنيتى

نشرت قصائد « وطنيتى » فرادى فى الصحف دون أن تثير قلقا أو بلبلة، ودون

اعتراض من الحاكمين وولاية الأمور، ورغب الغياتى فى جمعها، وإصدارها فى ديوان، مثل أى شاعر فى زمنه، واختار لها عنوان «وطنيتى» وربما تكون كلمة «وطنية» هنا مأخوذة من اسم «الحزب الوطنى» الذى اعتقد الغياتى أنه أحد جنوده المناضلين، وكانت دواوين تلك الفترة تنشر مصدرة بمقدمة لرجل مشهور، فتطلع المترجم إلى الزعيم محمد فريد، وعبدالعزیز جاویش، ليتفرد ديوانه بهذه الميزة الكبيرة، فقد كان الرجلان لهما وقعهما المؤثر فى مختلف الأوساط الصحافية والثقافية والسياسية والجمهور العادى، ولم يكسفا الغياتى، وبخاصة أن الديوان من الشعر الوطنى الذى سبق نشر معظم قصائده فى صحف الحزب.

وتقديم محمد فريد للديوان هو كلام ناقد له رأى فى الشعر يطرحه، ومن الطبيعى أن ينأى زعيم سياسى مثله عن شعر الرومانتيكية الانطوائى الأليم وشعر المدح والتفخيم، ويدفع إلى شعر الوطنية الذى يوقظ العواطف بالحماسة ويعلو بالنفس إلى مستوى المسئولية. أما الشيخ جاویش فلم يكن تقديمه إطراء وثناء على الديوان، وإنما انصرف حديثه جاء إلى شعر الطبع، وشعر الصنعة والصدق الفنى وأثر ذلك فى النفوس، ولعله سبق النقاد والشعراء، الذين تحدثوا فى هذه النقاط فيما بعد، أى أن حديثه موضوعياً يختص بالشعر مع إشارة الكاتبين إلى «وطنيتى» إشارة سريعة خاطفة دون ذكر لاسم الشاعر وانطلق الغياتى فرحاً بهاتين المقدمتين وبالديوان إلى مطبعة صاحبها فرنسى اسمه كستيولا يطبعه، وقيل إن سبب اختياره لهذا الفرنسى هو عدم مصادرة الديوان قبل العراغ من طبعه، وهى حجة واهية، لأنه حسب اعتقادى، أن الغياتى لو كان عنده هاجس باحتمال المصادرة، لامتنع عن طباعة ديوانه، وإنما قد تكون أسعار كستيولا أرخص أو أشيع عنه أن طباعته أكثر إتقاناً من غيره، فأقبل عليه. علي أية حال انتهى طبع الديوان يوم ٢٤ من يونيو سنة ١٩١٠، وأهديت منه نسخ إلى عديدين كالعادة، من بينها نسخة سلمها الغياتى بيده إلى الشيخ على يوسف.

وكانت هناك منافسة شديدة بين الحزب الوطني برعاية فريد بك وحزب «الإصلاح على المبادئ الدستورية» برئاسة الشيخ على يوسف، وبالتالي هناك منافسة بين جريدة «المؤيد» الناطقة بلسان حزب «الإصلاح» وبين جرائد الحزب الوطني، إلى جانب أن على يوسف كان على ولائه للخديو، أما الحزب الوطني فقد نبذ الخديو ونحاه بعد الوفاق الذي جرى بينه وبين المعتمد البريطاني، وفضلاً عن ذلك وجد على يوسف نفسه مسبوباً في ديوان الغياتي، فأراد الانتقام من الجميع، وكتب مقالا مطولاً في «المؤيد» بتاريخ ١٩١٠/٧/٤ قال فيه:

«زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغياتي المحرر بجريدة العلم، وقدم لنا نسخة من كتاب شعري، وضعه حديثاً بعنوان وطنيتي، وقال أقدمه إليك، وإن كان بلهجة حزب لا ترضيك لهجته، فقابلته بحسن القبول، وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب مثله يحسن الشعر، ويعمل كما نعتقد لإحياء الشعور الوطني.

«وأردت اليوم أن أقرظه بعدما فرغت من مهام مواضيع الجريدة حتى يكون للقلم حظه من الأدب، بعد حظه من السياسة، ففتحت الكتاب، وأول ما وقع نظري عليه من الصفحة ٤٦ قول هذا الشاعر المجيد:

ياليت شعري هل رأيت كما أرى      أن المؤيد معهد الهفوات  
فنشرت فيه ما نشرت وإنما      هي زلة من أكبر الزلات

فاستوقفني هذا السباب الموجه إلى المؤيد هنيهة، وقلت لعل حضرة الشيخ أراد أن يوجه لي هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب، كما فعل شاعر آخر له وطنيات لا تقل في الحماسة والبلاغة عن وطنية هذا الشيخ.

ولكني رجعت، وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد هذا وإنما قصد أن أدل قراء المؤيد على شيء من آيات وطنيته البيئات».

« وماذا يضر المؤيد لو كان فى يوم من أيامه على لهجة مثل لهجة العم على حساب غيره، فبعد الاستئذان من قانون المطبوعات، وبعد الاستعاذة من القوانين الجديدة، وبعد الإعلان بأنه لا اتفاق بين المؤيد والشيخ على الغاياتى نستعيد قلمه وشعره وفكره ساعة من الزمان، قال حفظه الله تحت عنوان وطنى يناجى ربه ص ٣٤ من كتابه .. » ونقل الأبيات ثم أخذ يتنقل بين قصائد الديوان، وينتخب الأبيات التى تستفز الحكومة، وتكون موضوعا للتحقيق والمحكمة، وقال لغاياتى أكثر من مرة أن الشيخ على يوسف « كتب عقب ظهور وطنيتى عرضا للحكومة على هذا الديوان، وعلى مؤلفه مما حملة على الهجرة من مصر، ومهد الطريق للقضية الشهيرة باسم وطنيتى »<sup>(١)</sup>.

### مصادرة الديوان وفرار الغاياتى

بعد مقال على يوسف بوقت قصير جداً، أخذت الشرطة فى جمع نسخ الديوان ومصادرته، وكان ثمنه قرشين، فارتفع إلى جنيه، وفى نحو يوم ١٠/٧/١٩١٠ طلب عطوفة محمد سعيد باشا القائم مقام خديوى، جميع الأوراق التى لها علاقة بكتاب وطنيتى للشيخ على الغاياتى ليطلع عليها بنفسه، فأرسلت إليه، وقد أخذت محافظة العاصمة أول أمس « أى فى ١٠/٧/١٩١٠ » صورة الشيخ على الغاياتى عن صورته الأصلية الموجودة بكتاب وطنيتى، وزعتها على رجال البوليس السرى لتساعدهم فى البحث عنه وضبطه<sup>(٢)</sup>.

وفى الوقت الذى كانت الشرطة السرية للعاصمة تبحث عن الغاياتى، كان هو خرج من مصر، وفى طريقه إلى إسطنبول يوم ٦/٧/١٩١٠.

ونشرت جريدة « البلاغ المصرى » أن مندوب جريدة « المقطم » فى الأستانة

(١) منبر الشرق ١٩٥٣/١/٩.

(٢) البلاغ المصرى ١٩١٠/٧/١٢.

اجتمع بعلى الغياتى، وأخذ منه نسخة من ديوانه، وأن الغياتى «أخبره بأنه طبع منه ألفى نسخة، وزع منها قبل سفره ستمائة ألفاً، أما طريقة سفره فهي أنه جاء يوم الثلاثاء إلى غرفته، فأبلغ أن مأمور القسم جاءه سائلاً عنه، فأحس بالخطر المحقق به، فقصد أناس طلب منهم مالاً للسفر، وأخبرهم بجلية الخبر، فأعطوه، وقال لأهل المنزل، قولوا للحكومة إذا سألت عني، أنني قصدت «دمياط»، وركب القطار إلى الإسكندرية، فغير ملابسه، ولبس طربوشاً بدلاً من العمامة، وثوباً أفرنجياً، وقصد الباخرة الخديوية، وبينما هو سائر في الطريق التقى بكبير رجال الضبط، فخاف أن يعرفه، وكان معه كتاب من صاحب جريدة دار الخلافة التي تطبع هنا لوكيله يقول له فيه أن يأذن له في تحرير الجريدة منذ وصوله، فمزق الكتاب حتى إذا قبضت الحكومة عليه لا تتهمه بالفرار من وجه القضاء، إلا أن الرجل لم يعرفه، لأنه كان قد غير ملابسه، فركب الباخرة، وقدم الأستانة حيث يقيم فيها منذ أسبوع و عشرة أيام، وقد عينت له إحدى الصحف المصرية راتباً يأخذه ما بقى هنا»<sup>(١)</sup>

و فرار الغياتى السريع فى غضون يومين (منذ كتابة على يوسف مقاله ضد الديوان فى ٤/٧/١٩١٠ ومغادرته لمصر فى ٦/٧/١٩١٠) إلى جانب حصوله على خطاب من صاحب صحيفة «دار الخلافة» الموجود فى القاهرة ساعتئذ ليحرر فى الصحيفة ساعة وصوله، يثير عدة تساؤلات على درجة كبيرة من الأهمية فكيف استشعر الخطر؟ وكيف قرر الفرار؟ وكيف حصل على خطاب من صاحب صحيفة دار الخلافة ليحرر فيها؟ بقول الغياتى فى قصيدته «عيد الكنانة .. عيد الأمير» .

الحزب يدعو والهري يسرى به      وحجاه بين مضليليه شريد  
حتى إذا القانون رام قصاصه      قالوا ارتحل عنا وسوف تعود

(١) البلاغ المصرى ٢٦/٧/١٩١٠ .

قم لا تقم فى مصر واعص قضاءها      إنا وإن لم تبغ ذاك نريد  
هذى مشيئتنا فهاجر يا لها      من هجرة لك بعدها التمجيد  
فمضى إلى دار السعادة مكرها      والشىخ يقسم أنه لسعيد

ومفاد هذه الأبيات أن الكبار البارزين فى الحزب الوطنى مثل الشىخ عبدالعزىز جاويش هم الذين زينوا له الفرار من مصر، بل دفعوه إلى هذا دفعا، ومن الجائز أن الحزب الوطنى استشعر الخطر عن طريق مخبريه الصحافيين، وبطرقه الخاصة، ورأى إبعاد الغاياتى إلى الأستانة لصالح القضية، كذلك فإنه من المستبعد أن يكون الغاياتى، وهو فى باكورة العمر على اتصال وثيق، وعلائق قوية بأرباب صحف الأستانة، وله نفوذ عندهم ليحصل على إذن فى الحال من صاحب «دار الخلافة» بالتحريز فى صحيفته، والراجح أن يكون الشىخ جاويش هو الذى حصل على هذا الخطاب وزود به الغاياتى نيطمئنه، لأنه هو المتردد بين القاهرة واسطنبول، والصديق لأصحاب الصحف، وقد يعزز أقوالى هذه قوس مراسل «المقطم» عينت له إحدى الصحف المصرية راتباً يأخذه ما بقى هنا» أى فى الأستانة وهو ما صرح به الغاياتى لمكاتب المقطم، فهذا الراتب زيادة فى طمانته، إضافة إلى ما سآخذه من دار الخلافة ليتشجع ويرحل، أما إحدى الصحف المصرية هذه التى ستبعث إليه بالراتب المقرر، فالراجح أنها جريدة «العلم» لسان حال الحزب الوطنى، والجريدة التى كان يعمل بها الغاياتى مصححاً، ويحررها الشىخ عبدالعزىز جاويش، وكل هذا يعنى أن فرار الغاياتى كان بتدبير من كبار أعضاء الحزب الوطنى وعلى رأسهم جاويش واستثنى من هؤلاء الكبار محمد فريد لأنه سافر إلى أوروبا منذ ٥ مايو ١٩١٠، أى قبل أن تظهر هذه المشكلة بنحو شهرين، أما تمزيق الغاياتى خطاب صاحب دار الخلافة فلا يعنى فشلاً، فعند وجود مشكلة يمكن حلها بالبريد أو بالبرق أو بالتليفون أو بأى وسيلة أخرى.

## التحقيق مع جاويش

كان الشيخ عبدالعزيز جاويش رجل مبادئ، وكاتباً موهوباً مقنعاً لقارئيه، وخطيباً قوى التأثير فى سامعيه. وعندما تولى تحرير «اللواء» ألهب المشاعر الوطنية، ثم حرر «العلم» فأنهض العزائم، ولم يكن يناور وإنما بهاجم، فضاقت به الأجهزة الحاكمة، وانتحلت الأسباب لإرهاقه نفسياً بتقديمه إلى المحاكم، فحوكم بسبب مقال «دنشواى خرى بالسودان» وبرأته محكمة الاستئناف، عام ١٩٠٨ وحبس ثلاثة أشهر بسبب مقال «ذكرى دنشواى» عام ١٩٠٩، والمحاكمة الثالثة كانت بسبب كتابته مقدمة لديوان «وطنيتى» كما ذكرنا، وجرى التحقيق معه.

استدعاه رئيس لنيابة على توفيق فى أيام ١٢ و١٣ و١٧/٧/١٩١٠، وعندما سأل «أنك قلت فى كلمتك التى كتبتها فى مقدمة كتاب الغياتى أن أشعار الغياتى تنهض الهمم، فهل كنت تعتقد عندما كتبت أن هذه الأشعار حقيقة تنهضها، فأجاب: إنما هى كلمة كتبتها من قبل المجاملة، ولا يخفى على الخبيرين بأساليب اللغة العربية أن كل ما يكتب فى المدح، الرثاء والذم ليس حقيقة، وأكثره مبالغ فيه.

«فسألته النيابة: لقد قلت إن شعر الغياتى شعر عادى أى يؤثر التأثير المطلوب منه، فأجاب بأد هناك فرقا بين لشعر العادى، والشعر السهل، فالشعر العادى الذى ليس فى طبقة من البلاغة بحيث تدفع الكتاب والرواة والحفاظ إلى العناية به، والاهتمام بأمرة، أما السهولة لاسيما الممتنعة فإن هذه طريقة لا يبلغها من الشعراء والكتاب إلا اقليل»<sup>(١)</sup>.

وهى أسئلة وأجوبة أدبية، وردود الشيخ جاويش ترضى أساتذة النقد، وجهابذة الأدب، وجميع القراء فضلا عن الكتاب الذين يدركون مقدار الخيال

(١) البلاغ لمصرى ١٩/٧/١٩١٠.

والمبالغة فى الأقوال الشعرية، فما بال النياىة لا تدرك ذلك؟ وإذا لم يكن فى الكلام قدر من خيال ومبالغة مقبولة، فكيف يصير أدبا مؤثرا؟ على أن مثل هذا الكلام لا يستحق تحقيقا ومساءلة ومحاكمة.

وأنكر الشيخ جاويش فى هذه التحقيقات اطلاعه على ديوان الغاياتى، وقال إنه لو اطلع عليه ربما أقره كله أو بعضه أو لم يقر منه شيئا.

وفى اليوم التالى للتحقيق شنت جريدة «المقطم» هجوما لادعا على الشيخ جاويش، وقالت إنه تبرأ من مبادئه، وتنصل من أفكاره، وأنه فقد احترام أصحاب المقطم.

وعبدالعزيز جاويش صحفى، أى زميل لأصحاب المقطم «المحترمين»، وكان عليهم أن يقولوا كلمة خبير، أو على الأقل أن يلتزموا الصمت، ولكنهم يحبون الجنازات ليشبعوا لظما فيها.

وقد دافعت جريدة «البلاغ المصرى» الوطنية عن الشيخ قائلة: «كان المقطم يريد أن يقول الأستاذ أمام النياىة، نعم إنى أقر كل ما جاء بكتاب الغاياتى وأعتبر هذا تلميذا لى حتى يظل فى أعين المقطم شريفا محترما»<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن قصائد الغاياتى نشر بعضها فى «المؤيد»، و«الجوائب المصرية» و«الدستور» وهى جرائد خارجة عن نطاق الحزب الوطنى، ومن المحتمل أن يكون جاويش قد قرأها أو لم يقرأها، وبعض القصائد منشور فى جرائد الحزب الوطنى فى الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩١٠، وربما يكون جاويش طالع هذا الشعر ونسيه، فأى رئيس تحرير يتذكر كل ما نشر فى جريدته اليومية على مدى سنوات، ولم يكن الغاياتى فى ذلك الوقت هو شاعر العصر، حتى لا تنسى قصائده لعصماء، كما لم يكن الشاعر الوحيد فى ذلك الزمن حتى أنه يبقى فى الذاكرات، فأنهر الصحف حافلة بالشعر من كل نوع، وحتى لو كان جاويش تذكر شيئا من هذا

(١) جريدة البلاغ المصرى ١٩١٠/٧/٢٠.

الشعر، فإن هذه القصائد لم تثر جدلاً أو معارضة، نضيف إلى ذلك أن الشيخ كان يتردد بين القاهرة واسطنبول، ويبقى هناك فترة تقصر أو تطول وكان يسجن وهذا يعنى أنه لم يقرأ بعض هذا الشعر فى غيابه، ثم إن الشيخ لم يتطوع من تلقاء نفسه لتقديم الديوان، وإنما الغياتى هو الذى كان يجرى وراءه ويلهث، وعلى ذلك لم يكذب الشيخ جاويش على النيابة، وإنما المقطم عدو الحزب الوطنى وكل وطنى لا تريد أن يسجن الشيخ ل تضرم فيه النار.

### البلاغ تهاجم الغياتى

وفى أعقاب التحقين مع جاويش هاجمت «البلاغ المصرى» على الغياتى، واتهمته بأنه دسيسة على الحزب الوطنى، وأن الشيخ على يوسف يحركه، وأنه أى الغياتى دس المقدمة التى كتبها بخط يده فى ديوانه، ليتحرك عقرب المؤيد أو الشيخ على يوسف، وينال من محمد فريد وجاويش، وقالت: «إن قضية الغياتى هى قضية الشيخ على يوسف، هى قضية جاسوسيته، ودنايته، وقد آن أن نخلص من المواريات والأكاذيب».

«من ذا الذى أوحى لى الشيخ الغياتى أن يسأل محمد بك فريد والشيخ عبدالعزيز جاويش، مقدمة لديوانه الذى كان مضمونه مجهولاً.. هو عقرب المؤيد ومن الذى توسط للغياتى فى أمر هذه المقدمة.. هو عقرب المؤيد، ومن ذا الذى أسرع بعد طبع المقدمة إلى الوشاية بصاحبها، وإبلاغ أمرها إلى الاحتلال هو عقرب المؤيد.. هذه حقائق تؤلم.. فلنشفق على الاحتلال الذى يستخدم مثل هؤلاء الجواسيس ليتحرشوا بالناس ويبلغوه عنهم ما يبلغونه..».

ولا أظن أن ذلك كان صحيحاً، لأن تسلسل الأحداث، ومعطيات الواقع تنكر أن يكون الغياتى جاسوساً أو دسيسة من على يوسف على الحزب الوطنى وقياداته، وإنما هى فرية ونتحال اخترعهما أمين الرافعى الميهمن على جريدة

«البلاغ المصرى»، لإنقاذ فريد بك وجاويش، ولم يفلح هذا الافتراء، وإنما أدى إلى فتور العلاقة بين الغياتى، وكل من أمين وعبدالرحمن الرافعى.

على أن الغياتى لم يقف صامتا أمام هذا الاتهام الشنيع، فبادر إلى تكذيبه، ودافع عن محمد فريد وجاويش، دفاعا منطقيًا وحقيقيًا، وأعلن عن تحمله للمسئولية، وأرسل مقالة للأهرام، ونقلتها عنها البلاغ المصرى يقول فيها:

«أما والله أنهما (فريد وجاويش) لأبعد عن سوء ما يظنون، وأبرأ اناس من أسرارى وغياتى، ماذا جنيا وقد جئتهما راجيا أن ينفحانى بكلمات من كلماتهم الحكيمة فى الشعر وتأثيره فى تربية الأمم قائلاً عن حسن نية لهما: إننى سأجمع ما نظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب أسميه وطنيتى، وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكما وخطكما ورسمكما.. فعسى أن تجيبا رجائى بعد ذلك، وقد سألتهما إجابة هذا الرجاء المرة بعد المرة حتى أجاباه ولم يريد أن يجعل كلمتيهما تقریظاً بحثا لكتاب لم يعرفا من محتوياته إلا قليلاً، بل سلكا مسلك الحكمة فيما كتبه ليكون عام النفع، وعطفا على ذكر كتابى فى غضون القول، عطفا على وجه الاستطراد، هذا ما كان من أمرى معهما، وما كنت أحسب أن الحكومة تتذرع إلى غرضها منهما بجعلهما شريكين لى فى تهمة أراد المؤيد أن يکید لى أو للحزب الوطنى بها فألقى من الولاة سميعةً مجيباً، هذا ما أقوله بمناسبة ما قرأته فى صحف مصر عن هذه القضية التى ما كنت أحسب لها حساباً.. والله يعلم أنهما لا يُسألان عن شىء حواه، ولا يديران غير أنمودج صغير مما سبق لى نشره.. فى جرائد الحزب الوطنى»<sup>(١)</sup>.

وهذه الجمل والفقرات المبتورة من المقال، تكشف عن حسن نية لغياتى، وتبين حقيقة ما جرى، فهو الذى سعى إلى فريد وجاويش ليكتبا له مقدمتين،

(١) الأهرام فى ٢٦/٧/١٩١٠ والبلاغ المصرى فى ٢٧/٧/١٩١٠.

والمقدمتان جاءا فى فن لشعر ووظيفته، وليسا فى تحسين الديوان، وأن الكتابين بريثان مما نُسب إليهما، وأنه لم يكن متواطفا مع على يوسف ضد الحزب الوطنى، فضلاً عن إنه لم يكن ينوق أن ديوانه سيقع تحت طائلة القانون، هذا مع إدراكه أن الحكومة تعللت بهاتين المقدمتين لتنال من الحزب الوطنى وقياداته وكل هذا صحيح، وهذه المقالة بيان شامل للقضية. وإظهار لما خفى فيها، وغربة لحوادثها.

## عريضة الاتهام

على أية حال، كانت الحكومة فى عجلة من أمرها، لإنزال العقوبة بالمتهمين فأعدت النيابة عريضة الاتهام، وأعلنت الذين رأت محاكمتهم وهذا نص الإعلان: نحن رئيس النيابة العمومية بناية محكمة مصر الأهلية بعد الاطلاع على المادة « ١ » من القانون نمرة ٢٧ سنة ١٩١٠ نكلف أحد محضرى المحكمة بأن يدعو:

١- الشيخ على الغياتى المصحح بجريدة « العلم » غير المعلوم له محل إقامة الآن بالقطر المصرى.

٢- الشيخ عبدالعزيز جاويش محرر بجريدة « العلم » والمقيم بالعباسية بمصر بجهة ميدان الحربية بملك الشيخ عبد لرزاق عوض.

٣- الشيخ محمد حسن القروينى اموظف بقلم تحرير « العلم » ومقيم بشارع الموسيقى بملك محمد عزيز بأول سوق الكانتو بقسم الجمالية.

٤- إلياس أفندى دياب صاحب مكتبة التأليف، وساكن بالفجالة بجوار كنيسة الأروام، إلى الحضور أمام محكمة جنابات مصر بسرارى المحكمة من يوم السبت ٦ أغسطس ١٩١٠ الموافق أول شعبان ١٣٢٨ الساعة ٨ أفرنكى صباحا لمحاكمتهم، الأول بمقتضى المواد ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ من قانون العقوبات لوضعه ونشره كتابا يسمى وطنيتى، ويشتمل على

قصائد ومنظومات يتضمن بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل «صحيفة  
٥-٣٤-٣٨-٦٠-٦١-٦٢-٩٢-١٠١-١٠٢.

وبعضها التحريض على كراهة الحكومة، والازدراء بها صحيفة ٥٦-٥٧-٦٧-٦٨-٧٣-٧٤-٧٥-٧٧، وبعضها تحسين الجريمة التي كان ارتكبتها  
الشيخ عبدالعزيز جاويش، وحكم عليه من أجلها في العام الماضي وغيرها صحيفة  
٦٠-٦١-٦٢-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٩٢-١٠١، وبعضها العيب في حق ذات  
ولى الأمر، صحيفة ٥٥-٥٦، وبعضها إهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا،  
صحيفة ٦٣-٦٤، وبعضها إهانة هيئة الوزارة والمحاكم، صحيفة ٥٦-٦٨.

وقد طبع هذا الكتاب ونشر بمصر، وضبط في يومى ١١ و٦ يوليه ١٩١٠.

والثانى بمقتضى المواد المذكورة لوضعه مقدمة للكتاب المذكور تتضمن  
تمجيده، وتحسينه، والحض على قراءته وبذلك يكون مسئولا عن الجرائم المبينة آنفا،  
إما بصفته فاعلا أصليا مع الشيخ على الغاياتى لإتيانه عملا من الأعمال المكونة  
لهذا الكتاب، وهى المقدمة المذكورة التى طبعت ونشرت فيه وذلك طبقا للفقرة  
٢٥ من المادة ٣٩ من قانون العقوبات، وإما بصفته شريكا فيها، وذلك بمساعدة  
الفاعل مع علمه بالجريمة على ترويج ونشر هذا الكتاب بوضعه هذه المقدمة له  
طبقا للمادة ٤٠ فقرة ٣ من قانون العقوبات، أو عن جريمة تحسين وتمجيد وضع  
هذا الكتاب، ونشره وهى المعاقب عليها بالمادة ١٥٤ من قانون العقوبات.

والثالث والرابع بمقتضى المواد المذكورة آنفا بأنهما نشرا الكتاب، المذكور بأن  
باع الأول منه عدة نسخ للثانى بقصد بيعها، وهذا أعدها للبيع، وباع منها  
لأشخاص آخرين، وذلك بعد العلم بطبعه بمعرفة الحكومة منعا لانتشاره، وبذا  
يكونان مسئولين عن الجرائم المتقدم ذكرها بصفتهما فاعلين أو شريكين بمقتضى  
الفقرة ٣ من المادة ٤٠ من قانون العقوبات<sup>(١)</sup>.

(١) البلاغ المصرى ٢٧/٧/١٩١٠.

## الحكم

في يوم ٦/٨/١٩١٠ نشرت جريدة «البلاغ المصرى» صورة الشيخ عبدالعزيز جاويش فى القسم الفرنسى من الجريدة، وصورة الشيخ على الغياتى فى القسم العربى، ونشرت ترجمتهما، وكانت البلاغ المصرى عبارة عن قسمين: فرنسى وعربى، ومحررها أمين الرفعى، وفى حالة غيابه يحل فى رئاسة تحريرها أخوه عبدالرحمن الرفعى، وكان مدير الجريدة فرنسى اسمه البان دويروجان، والظاهر أنه كان مشرفاً على القسم الفرنسى، وقد نشرت الجريدة صورتي جاويش والغياتى وترجمتهما بمناسبة تقديمها للمحاكمة يوم ٦/٨/١٩١٠، وفى اليوم التالى أى يوم ٧/٨/١٩١٠ نشرت الجرائد ما جرى أثناء المحاكمة، ووقائع القضية وحيثيات الحكم، ونظراً بطول كل هذا نذكر ما حكمت به المحكمة:

«حكمت المحكمة غيابياً بالنسبة للشيخ على الغياتى، وحضورياً على الشيخ عبدالعزيز جاويش والشيخ القزوينى وإلياس دياب أفندى، أولاً: بتعاقب الشيخ على الغياتى بالحبس مدة سنة مع التشغيل مع براءته من تهمة التحريض على القتل، ثانياً: بحبس الشيخ عبدطعيز جاويش مدة ثلاثة أشهر حبساً بسيطاً، ثالثاً: بمقابلة كل من الشيخ محمد حسن القزوينى وإلياس أفندى دياب بالحبس مدة شهرين وبإيقاف تنفيذ هذا الحكم الآن طبقاً للمادة ٥٢ و٥٣ عقوبات.

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة فى يوم السبت ٦ أغسطس ١٩١٠ الموافق أول شعبان سنة ١٣٢٨»<sup>(١)</sup>.

(١) البلاغ المصرى ٧/٨/١٩١٠.

## محاكمة محمد فريد وسجنه

عندما وصل الغياتى أخذ يحرر فى صحيفة «دار الخلافة» وفى صحف أخرى مثل «صراط مستقيم» وينشر بعض أشعاره، وكان ينتظر نتيجة الحكم، فيما أن يظل فى الآستانة إذا حكم بإدانتته، وإما أن يعود إلى القاهرة إذا حاز البراءة، أما وقد عرف بالحكم الصادر ضده، فقد اجتاحه قلق عارم، وتخوف من أن تطالب الحكومة المصرية، الحكومة العثمانية بتسليمها له، وبخاصة بعد أن عرفت مكان إقامته.

وكان الزعيم محمد فريد بأوروبا عند صدور الحكم على الغياتى وجاويش، وقرر العودة إلى مصر، وهو يعلم أنه سيقدم إلى المحاكمة بسبب كتابته مقدمة وطنيتى، وقبل أن يصل إلى مصر فى ٢٨/١٢/١٩١٠، مر بالآستانة والتقى الغياتى فى قهوة «توقتلان» وكان معه عزت شكرى بك شقيق إسماعيل صدقى، «ودار الحديث عن القضية، فقلنا له إننا على أتم الاستعداد للعودة إلى مصر إذا كان فى ذلك فائدة له فأبى»<sup>(١)</sup>.

وفى أثناء هذه الجلسة أخبر فريد بك على الغياتى بأنه فى جنيف «بعض الشبان تحت إشرافه، وأنه يرغب منا أن نتولى تدريس اللغة العربية لهم»<sup>(٢)</sup> فكان كلام محمد فريد مشجعا له على الذهاب إلى جنيف.

أما محمد فريد فقد استدعته النيابة فى ٤ من يناير ١٩١١ وحقق معه رئيسها توفيق نسيم «رئيس الوزارة فيما بعد» ثم قدم إلى المحاكمة فى ٢٣ من يناير ١٩١١، وكان رئيس المحكمة «دلبروجلجى» وهو الذى حكم على الوردانى بالإعدام ولم يصحب محمد فريد معه محاميا، وقال فى المحكمة إنه كتب المقالة «المقدمة» التى وضعت فى الكتاب «وطنيتى» وبعدها سافر إلى أوروبا فى ٥/٥/١٩١٠،

(١) منبر الشرق ٨/٨/١٩٥٢.

(٢) منبر الشرق ٨/١٥/١٩٥٢.

ولأعلم له بما فيه، لأن كثيراً مما ورد فيه نظم بعد غيابه، وقال عن المقدمة أيضاً أنها مما يصح أن ينشر في جريدة أو مجلة أو كتاب وأنه قصد الكتابة عن الشعر من حيث هو، ومع ذلك حكمت المحكمة بسجنه ستة أشهر مع النفاذ.

وهاتان المحاکمتان تعيدان إلى الذهن حكاية الذئب والحمل؛ فإن أى أديب أو مثقف لا يمكن أن يفهم من المقدمتين المتين كتبهما فريد وحاويش ما فهمته المحكمة والمقصود تحطيم معنويات زعماء الحزب وتشريدتهم، وتحويل مقار الحزب إلى أطلال وأنقاض، والدليل على ذلك أن الخديو أرسل إلى محمد فريد بأن يتعهد بعدم مهاجمة الإنجليز مقابل الإفراج عنه فأبى<sup>(١)</sup>، إذن القضية ليست قضية وطنية أو مقدمة، وإنما هي تدمير الحزب الوطنى أو إسكاته.

### الغاياتى فى جنيف

كان لابد للغاياتى من ترك اسطنبول، فالرزق قليل، والنفس لا تأخذ وسعها لأن أمنه مهدد، فقد تقتلعه عاصفة، وتمضى به إلى سجون القاهرة التى يخافها منذ سجن أيام القرعة العسكرية، ثم إن فى جنيف طلبة يرغبون فى تعلم العربية، فضلاً عن أنها مدينة يأوى إليها الأحرار، فعقد العزم على السفر إليها، واشترى ملابس أفرنجية من الآستانة، وتلقى دروساً فى الفرنسية على شاب يهودى، ولابد أن يكون اتفق مع شخص يستقبله عند وصوله إلى جنيف ليكون دليلاً ومرشداً فى الغربية.

وبرح الآستانة وركب قطار الشرق وفى ٢/١٢/١٩١٠ وصل جنيف، وكان فى استقباله طالب مصرى هو خليل مذكور<sup>(٢)</sup> وبعد استقراره بحث عن الطلاب الذين حدثه عنهم محمد فريد، فلم يجدهم، فالتجأ إلى المدارس يعلم التلامذة

(١) د. عصام ضياء الدين - الحزب الوطنى والنضال السرى ص ٢٢١.

(٢) منبر لشرق ٤، ١٢، ١٩٤٢.

فيها العربية مثل مدرسة «برلتس» ومعهد «لانسي» بضواحي جنيف<sup>(١)</sup> وإلى جانب العمل في هذه المعاهد كان يرسل جريدة «العلم» في مصر مقابل ثلاثة جنيهات شهرياً ثم انقطعت بعد شهرين، فأحدث هذا دويماً في نفسه، وتحول مساره الوطني، كما سنوضح، وأمام الضائقات المالية التي حدثت به إلى القول «كدنا لسوء الحال نفضل العودة إلى مصر والإقامة في السجن»<sup>(٢)</sup> التجأ إلى عدوه على يوسف، ولعله تذكر قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وأرسل إليه خطاباً مفاده أن يبعث كل أسبوع برسالة تحتوي على الأخبار والآراء الأوروبية المهمة مقابل أجر، فُرسل إليه على يوسف يقول «عفا الله عما سلف»، ووافق على فكرته، وأرفق بخطابه خمسة وسبعين فرنكاً «ثلاثة جنيهات» وسيكون له مثلها كل شهر إن داوم على الرسائل النافعة لقراء المؤيد<sup>(٣)</sup> وتجدد الوداد بينه وبين على يوسف، وعندما مات صاحب المؤيد رثه الغايباني وفي الوقت نفسه حل الجفاء بينه وبين الحزب الوطني.

وبالرغم من أنه كان يواجه حياة قاسية تفل العزم، تطلع إلى مواصلة التعليم المنظم، فتلقى دروساً في الفرنسية وتقدم للامتحان بالجامعة «فقبلتنا في كلية العلوم الاجتماعية باعتبار أننا كنا من طلاب العلم بجامع البحر بدمياط التابع للأزهر الشريف، والأزهر عندهم يعتبر من أشهر الجامعات العالمية»، وسجل اسمه بسجل الطلاب يوم ١٩/١/١٩١١<sup>(٤)</sup> وبقي بها ثلاث سنوات ولكنه لم يحصل على شهادة لأنه لم يف بالتزاماته المالية.

(١) منبر الشرق ٢٢/٢٩ و ١٩٥٢/٨.

(٢) منبر الشرق ١/٩/١٩٥٣.

(٣) منبر الشرق ١/٩/١٩٥٣.

(٤) منبر الشرق ١٩/٩/١٩٥٢.

وكان يعرف في مصر طالبا اسمه «الأمير العطار» والتقاه في جنيف مع زوجته السويسرية، وبمضى الوقت صارت هذه الزوجة واسطة في زواج الغاياتي من فتاة سويسرية، وكان العطار وخلييل مذكور السالف ذكره شاهدي عقد الزواج في أغسطس ١٩١٢.

ظل يرتزق من الدروس المتفرقة في معاهد العلم إلى نشوب الحرب العالمية الأولى، فتضاءل دخله نظراً لسفر الطلاب إلى بلدانهم، وارتفاع الأسعار، فتوجه إلى الصحف السويسرية يترجم لها بعض الأخبار، ويكتب بعض المقالات في شؤون الشرق الإسلامي، ومن هذه الصحف التي ذكرها «لاسويس» «جورنال دى جنيف» «تريبون دى جنيف»، فلما توقفت الحرب كسد سوق الصحافة بعض الشيء.

وأثناء الحرب، وفي عام ١٩١٥، وكان الحكم عليه بالسجن قد سقط، جاء إلى مصر ليتابع أخبار الحرب في منطقة قناة السويس، ويكتب تحقيقات صحفية عن مصر، وليزور ذويه في دمياط، وكانت معه رسائل الاعتماد من الصحف السويسرية، وموافقة السلطات المصرية على الزيارة وتغطية الأخبار وعندما التقى رئيس الوزراء حسين رشدي لم يبد الأخير ارتياحا للغاياتي، وظن أنه قدم إلى مصر في مهمة تخص الخديو عباس، وتحرك الغاياتي عدة أيام حرا طليقا في إسكندرية زار فيها أحمد زكى باشا شيخ العروبة، وعبدالقادر حمزة، وقابل مصادفة عبدالرحمن شكرى، وتوجه إلى قصر رأس التين وسلم شكرى باشا مدير الديوان السلطاني قصيدة طويلة ليطلع عليها السلطان حسين كامل، بعد هذا ألقى القبض عليه، واعتقل في سجن قسم محرم بك، وبقي معتقلاً عدة أيام، ونظم قصيدة أرسلها من السجن إلى شكرى باشا، بعدها أُفرج عنه ليتوجه إلى السفينة التي نقله خارج مصر، فلا غطي أخبار الحرب، ولا زار الأهل، وتكبد خسارة أليمة.

أما القصيدة التي أودعها الديوان السلطاني، فإنها تتناول بعد مطلعها الغزلي، الشكوى مما لاقاه في الحياة، وتتضمن مديحا لحسين كامل سلطان مصر، والظاهر منها أنه كان يبغى منحة مالية، أو عطية من العطايا السلطانية، لذلك كان يتحدث في قصيدته التي أسماها «عودتي بعد هجرتي» عن بؤسه وبلواه، وعن كرم السلطان ونداه، يقول:

وأتى الحسين فحولت	حسناته مجرى القدر
أولى الكنانة ما تروم	من الحماية والظفر
وجرت يدها بالندى	حتى استحي منه المطر
أمسى أحاديث عطائه	أحلى من أحاديث السمر
وبجوده الزمن الأخير	على القديم قد افتخر
من لى بلثم يمينه	وهي الرجاء المدخر <sup>(١)</sup>

وكل هذا من المبالغات، والمغالطات التي يلجأ إليها الشعراء ليستندروا عطف وإحسان ولاة الأمور من الحكام أما شكواه من الحياة فقد بثها في كثير من الأبيات. ومع اشتعال ثورة ١٩١٩ الشعبية، وجه اهتمامه إليها، وكان يكتب في الصحف السويسرية عنها، ولكن نظرة الأوروبيين إلى ثورتنا، ليست مثل نظرنا إليها، فأخذت الصحف السويسرية تضيق عليه، وكان قد اكتسب خبرة واسعة في مجال الصحافة، كما أجاد اللغة الفرنسية، ففكر في إنشاء صحيفة يصدرها، وأعد لها وظهرت تحت اسم «تريبون دوريان» أو «منبر الشرق» في ١٩٢٢/٢/٥ نصف شهرية، وكانت مكونة من صفحة عربية واحدة، وثلاث صفحات فرنسية، وقد كابد مشقات في الصفحة العربية لأنه كان يكتبها بخط يده، وأخيرا حجب

(١) منبر الشرق ١٧/١٠/١٩٥٢.

هذه الصفحة، وقد وضع ذلك فى خطاب أرسله من جنيف إلى صديقه القديم محمد لطفى جمعة بتاريخ ١٩٣١/٥/٨ جاء فيه :

« .. بادرت بإرسال العدد الأخير من منبر الشرق إليك، وإنى مرسل إليك اليوم عددان قد يكون لهما شأن لديك حيث تقف منهما على تطور الجريدة بعد عشرة أعوام، وعلى شىء من حديث أخيك القديم بعد إقامته عشرين سنة فى جنيف، ولعلك تسأل عما حدث بالقسم العربى، فأخبرك أنه تطور فى الشكل والمادة، ثم اختفى لكثرة النفقات وقلة المشتركين.. »<sup>(١)</sup>

ولما كانت جنيف مقراً لجمعية الأمم، وكان يذهب إليها لوزراء والرؤساء والأمراء فقد كان يلتقيهم، ويعقد مع بعضهم صداقات مثل على الإمام رئيس وزراء حيدر آباد بالهند، ومحمد المقرئ رئيس وزراء مراكش، وأرفع الدولة مندوب إيران فى جمعية الأمم وغيرهم.

### العودة إلى القاهرة

وإذا كان المثل العربى يقول « لا بد من صنعاء وإن طال السفر » فإن الغاياتى عقد العزم على العودة إلى القاهرة ليقيم فيها بصفة دائمة، فأغلق منبر الشرق الفرنسية عام ١٩٣٧، وانتقل مع أسرته « الزوجة وبناته الخمس وابنه » إلى القاهرة التى وصلها فى أواخر أغسطس ١٩٣٧، وأقام بعمارة من عمارات ميدان التحرير.

وفى ١٩٣٨/٥/٦ أعاد إصدار منبر الشرق أسبوعياً ولكن بالعربية، وظلت تواصل الصدور حتى توقفت فى منتصف أغسطس ١٩٥٦، وقد روى ذكرياته فيها، ونشر الأشعار التى قالها بعد فراره من مصر، وكان من كتاب المنبر محمد لطفى جمعة ومحمد جبر وفتحى رضوان وأحمد حسين المحامى، ومختار الوكيل

(١) رابع لطفى جمعة كتاب حوار المفكرين - رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفى جمعة.

---

ووديع فلسطين وحسين البشبيشى وغيرهم، وكانت الجريدة تعنى بالسياسة والثقافة الأدبية.

ولعلى الغاياتى كتابان هما: «وطنيتى» ١٩١٠ «وعلى هامش الحج» ١٩٤٧ والأخير عبارة عن مقالات صغيرة نشرها فى منبر الشرق على أثر عودته من الحج، وجمعت فى كتيب، وبين فيها أوجه القصور فى الأماكن المقدسة.

وفى ١٩٥٦/٨/٢٧ توفى على الغاياتى بعد مرض سريع رحمه الله.

\*\*\*

## نقض وطنيتى

بدا على الغاياتى فى وطنيتى أحسس شجاعا، واستحال عاطفة مختلجة جياشة بالمشاعر الوطنية، ولكن بعد فراره وجد نفسه فى مكان غير المكان، ولم يكن يظن أن هجرته ستطيل، ولكن بعد صدور الحكم عليه بالسجن، وسفره إلى جنيف، تراكمت آلامه ونحوت الهواحد فى نفسه، وأفزعتة ظمة المجهول، ولم يجد ما يخفف جراحه، وبهون من بلائه، فأحببت معنوياته، وأخذ يتبرم بالمبادئ التى تحمس لها، ويتحول فكره عما آمن به، وهذا التغيير بدأ ضعيفا ثم قوى واشتد مع الوقت، حتى ظهر جليا، وصار انقلابا مدمرا، وإنما نذكر معالم هذا الانقلاب وبواعثه.

ذكرنا من قبل أن مكاتب المقطم التقى بالغاياتى فى الآستانة بعد فراره من مصر بأيام قال: «لما كنت أعرف الغاياتى، وأعلم أنه كان ناقما على سياسة الحزب الوطنى، سألته عن سبب هذا التقلب الغريب، فأجابنى بأن التغيير الذى تم فى سياسة مصر أثر فيه، وأن مركز الأدباء فيها بات حرجا، فلذلك أقدم على ما أقدم عليه»<sup>(١)</sup> وهذا يبين بداية الإحباط والتمرد على سياسة الحزب الوطنى.

وعندما كان فى الآستانة، وأثناء نظر القضية قبل صدور الحكم فيها، اتهمته جريدة «البلاغ المصرى» بأنه دسياسة على الحزب وقياداته، وهذا على حد قوله أدى إلى فتور «العلاقات مع المحبين الأصفياء».

وورد فى قصيدته «عيد الكنانة» أنه جرت مفاوضات فى جنيف بينه وبين أفراد من الحزب الوطنى، حول تركه لجنيف، والتوجه إلى باريس، ليواصل الجهاد

(١) البلاغ المصرى ١٠/٧/٢٦، ١٠٠٠.

منها، ولكنه رفض أن يضع يده فى أيديهم مرة أخرى، وهذا يبين أنه تحول بالفعل عنهم، وانشق عليهم.

وكان يرأس من جنيف جريدة « العلم » مقابل ثلاثة جنيهاً شهرياً، وحسب أقواله انقطع هذا التراسل بعد شهرين من بدئه، مما دعاه إلى القول بنكران الإخوان له، ومادام نبذهم، فكيف يتواصلون معه؟ إنها أسباب ونتائج وأعتقد أن أهم هذه الأسباب هى عدم إمداده بما يكفيه من مال فى غربته مادام العفو عنه بعيد المنال.

وإذا كنا بحثنا فى أحواله أثناء اغترابه، فإن حال الحزب الوطنى لا تقل سوءاً عن حالته، فعبدالعزیز جاویش سُجن، ثم حبس بعده محمد فريد والحكومة تقف للحزب بالمرصاد، وتستغل كل هفوة من الهفوات، أى أن الحزب فى حالة اضطراب وارتباك، ثم إن السجين وهو فى سجنه هل يفكر فى نفسه، أو فى حزبه، أو فى على الغياتى الطليق، وإذا كان على الغياتى حصر فكره فى نفسه، وصرف ذهنه عن حزبه، فأين وطنيتى؟

بعد هذه القطيعة لم يلتزم الصمت، ويمضى فى طريقه التى اختارها، وإنما انفعلت نفسه، ولم يستطع مقاومة ثوراته الداخلية، واعتقد أنه مظلوم، وأن قادة الحزب غرروا به، وتخلوا عنه فى وقت الشدة، فانقاد لأهوائه الهادمة، وتهياً للانتقام، وتأهب للعدوان، وهو شاعر والهجاء من أدواته، فأمسك بالقلم ونظم قصيدة طويلة من خمسة وتسعين بيتاً فى مناسبة عيد الجلوس الخديوى، فرغ منها فى أواخر عام ١٩١١، وأرسلها من جنيف إلى الصحف المعادية للحزب الوطنى مثل « الوطن » و« المقطم » وغيرهما، مع خطاب أقر فيه بخطئه فى التعامل مع الحزب الوطنى، وعد هذا الاعتراف بالخطئ فضيلة يشكر عليها، وقد نشرت الجرائد هذه القصيدة فى مطلع عام ١٩١٢.

وهذه القصيدة في هجاء الحزب الوطنى، وشتم أبرز أعضائه مع ذكر أسمائهم ورميهم بألفاظ تنفر منها الأسماع.

وهذا الروح الذى أملى هذه القصيدة ينقض الروح الذى نظم ديوان وطنيتى، وبات القارئ فى حيرة وقلق، وعلينا توضيح هذا التناقض. يقول فى الديوان مخاطبا الخديو:

أعباس هذا آخر العهد بيننا      فلا تخشى منا بعد ذاك عتابا  
أيرضيك فينا أن نكون أذنة      ننال إذا رمنا الحياة عقابا  
ونياس من آمالنا فيك كلما      قضيت علينا أن نكون غضابا  
ويقول فى « عيد الكنانة »:

مولاي عيدك للكنانة عيد      يحلوه به للصادح التغريد  
الله حسبك أيها المولى الذى      تعتزم مصر بملكه وتسود  
أعيادك الفيحاء غر مواسم      تتجدد الآمال حين تعود

ففى استهلال أبيات الديوان عبوس وعتاب وتحذير وخصام، أما فى « عيد الكنانة » فالاستهلال فه بشاشة وتغريد، وأفراح العيد، والمصريون بعد أن كانوا فى الديوان أذلاء فإنهم فى « عيد لكاننة » يعتززون بملك الأمير، وإذا كانوا فى الديوان يائسين من الآمال « نياس من آمالنا » فإنهم فى « عيد الكنانة » تتجدد الآمال ولا يأس.

والحزب الوطنى فى الديوان يحارب أعداءه بالعقل أو بالحجا، ومبادؤه قويمة:

يا رئيس الحزب حارب      بالحجا أهل الذميمة  
لك حـزب لا يمارى      فى مبادئه القويمه

أما في « عيد الكنانة » فإن الحزب ضل وفقد الهدى :

الحزب يدعو والهوى يسرى به وحجاه بين مضليليه شريد  
وهو في وطنيتي يؤمن بالجهاد والقوة، ونيل الحق بالحسام الحاطم والغلبة،  
وتتقاصر الوسائل الأخرى عن إدراك ما تصبو إليه من الحقوق الوطنية، يقول في  
قصيدة « آهة مصرى » عن مصر:

قهرتها يد الطغاة وكانت مصر أولى بقطع أيدي الطغاة  
ويقول أيضاً من نفس القصيدة:

إن في قبضة الشعوب حساما صادق البأس ماضى العزمات  
يدع الخامل الجبان شجاعا ويبث الحياة في الأموات  
وقوله في النشيد الوطنى:

نحن شعب لا نضام قبل أن نلقى الحمام

أما في « عيد الكنانة » فيطرح نغمة القوة والمقارعة، ويلين، وترهف نفسه  
وتخبر ناره، ويقول فى شىء من الضراعة: إن مصر يمكن أن تنال استقلالها  
بالحسنى، والعقل والعلم:

إنى فسد النيل لو أن الذى تبغون بالحسنى عليه يعود  
لا يسعد البلد الشقى سوى فتى بالعلم يرفع مجده ويشيد  
النيلى حاجته إلى أهل الحجا وحجاكمو لو تسمعون فديد

ويتكون ديوان وطنيتى من حوالى تسعمئة وعشرين بيتاً، منها نحو مئة  
وخمسين بيتاً في مديح محمد فريد، وعبدالعزيز جاويش، وجريدة العلم، فإذا  
هجا فى عيد الكنانة هذين الزعيمين بأقذع السباب، مع الأزدراء لهما والاجتراء

عليهما، فإنه يكون نقض ما جاء عنهما في وطنيتي، فلا يصح بعد أن قال إنهما استاذى يقول عنهما وعن باقى قيادات الحزب إنهم مجرمون، وإنهم عصابة من المجرمين ولا يصح بعد أن أثنى على عقولهم، يقول عنهم فى «عيد الكنانة»، إنهم مجموعة من القرود، ولا يصح بعد أن قال عن «محمد فريد».

أيها القائد جاهد وأعد مصر القديمه  
باد مجد القطر فابعث روحه واحي رقيه

يقول له ولأتباعه فى «عيد الكنانة» «أنتم حرب على الإصلاح».

وإذا تبعنا ما قاله عن زعماء الحزب فى «عيد الكنانة» ووطنيتي فأننا سنكرر «لا يصح» «لا يصح» عدة مرات، ودونك بعض ما قاله عن قادة الحزب الوطنى فى «عيد الكنانة».

أبصرت - بعد فراقهم - أن البلا  
د تكاد مما يجرمون تميد  
إن الحوادث أنبأتني أنكم وإن اعتزيتم للرجال قرود  
ترجون تحرير البلاد وانتمو حرب على الإصلاح وهو وليد  
لستم بنى مصر ولكن عصابة بوجوهكم أيام ... عسر سود

فى وطنيتي نظم قصيدتين صغيرتين فى «دنجرا» واحدة عندما حكم عا .  
بالإعدام والثانية فى رثائه عندما نفذ فيه الحكم، وفى القصيدتين يمجّد دنجرا  
ويمتدح جهاده وشجاعته، ويبارك موته فى سبيل الوطن وإن أظهر حزنا على  
إعدامه، ورأى أن ما أقدم عليه هو فكرة شريفة، وكل هذا صحيح، ولولا شهامة  
الغيايتى ما نظم القصيدتين، وكان يكفيه هذا، ولكنه أبى بعد ذلك أن يذكر  
بكلمة خير فى مقابل هذا الصنيع، فتراه فى «عيد الكنانة» .. يتنكر لما صنعه فى  
شأن «دنجرا»، ويبين لنا أن هذا الصنيع، اعنى صياغة الشعر، لم يكن بدافع من

نفسه، أو من تقدير العمل الوطني، وإنما يقول لنا إن أحمد لطفى وكيل الحزب الوطنى هو الذى دفعه إلى ذلك، ويظهر بدماء على ما قاله فى « دنجرا » يقول:

وكذا وكيل الحزب لطفى إنه شر الكتاب برأيه معقود  
 ما كان لى نشر الذى أنشأته فى دنجرا الولاه وهو شهيد  
 أفتى به وأقره قانونه وهو الخامى الأشهر المشهود  
 فبدا على وجه اللواء ومثله فى رأى لطفى والرئيس سيد  
 فهو بهذه الأبيات يتبرأ مما قاله فى وطنيتى عن دنجرا، وهذا يعد نقضا لبعض ما فى الديوان من معان .

وقد جرى فى عدد من قصائده الأخرى التى نظمها فى مهجره على هذه الوتيرة المستنكرة جهاده بالشعر فى مصر، والهادمة لما فى الديوان، والمسائرة لنزعاته الجديدة، ففى وطنيتى يقول عن « المؤيد » للشيخ على يوسف فى قصيدة الدستور:

يالىت شعرى هل رأيت كما أرى أن المؤيد معهد الهفوات<sup>(١)</sup>

فى هذا البيت تحقير لشأن المؤيد، وهجاء لصاحبه، وفى قصيدته التى رثى بها الشيخ على يوسف وهو فى جنيف، يذكر على يوسف والمؤيد بالهداية وهو معنى مشرف يقول:

ومن يكن كعلى فى مكانته وكان تاريخه فى قومه فخرا

وكان ذا أثر مثل المؤيد فى مصر هداها وكانت قبله حيرى

بكيته .. إلى آخره

وفى قصيدته « عودتى بعد هجرتى » التى نظمها، ومدح بها السلطان حسين

(١) لم يكن الشيخ على يوسف على علاقة سيئة بالغاياتى، فكان ينشر له شعراً وهو الذى توسط له ليعمل بالجوائب المصرية. انظر المؤيد فى ١٩١٠/٧/٢٦ .

كامل عام ١٩١٥، يبين فى أبيات منها أنه مقر بذنبه، ويعلن توبته، ويواصل لهجوم على «ذاك النفس» وهم قادة الحزب الوطنى الذين خدعوه، ثم تبين له بعد ذلك: النهج السليم، فنطق بالحق، وقال الصواب، وأن السلطان خير من غفر، ونستمع إلى مقالته لأن المعانى أكثر من ألفاظها:

ون الخمس بالعبد المقر	جاء وقد مضت السن
بتنه وأجدر من غسفر	ولأنت أولى بععد تو
ل وغرره ذاك النفسر	خدعته خادعة القا
وتبين النهج الأبر	ثم انثنى بععد السنوى
أرضى الصواب وإن أمر	وجرت يراعته بما

وهذه الأبيات لا تفهم فى غيبة قصيدة «عيد الكنانة» فهى من جنسها وأن اختلف الروى، وشعر الشاعر يتضح إذا ضمنا بعضه إلى بعضه، مع مراعاة التسلسل التاريخى، وفى مقدمته النظرية لهذه القصيدة لم يظهر ما اشتملت عليه من أغراض وقال: «عبرنا فيها عن حالتنا الخاصة. والحالة العامة إذ ذاك، وكل معنى من معانيها، أو مرمى من مراميها يحتاج إلى بيان لا يخفى على قراء ذلك العهد...» لأن قراء ذلك العهد قرأوا وطنيتى، وقصيدة «عيد الكنانة...» ومن هنا يمكن إدراك مراميه وأغراضه، وكان يستطيع التوضيح، ولكنه آثر التعمية والتتويه، لأن قارئ عام ١٩٥٢ (زمن نشر القصيدة فى منبر الشرق) لا يحتمل طعنا ولعنا فى محمد فريد وصحبه.

### مراميه من عيد الكنانة

ولكن ما دوافع الغاباتي من نظم قصيدة «عيد الكنانة» المحبوكة.

هل نظمها فى غمة الشقاء، والعوز والحاجة، والإحساس بالغرابة والوحدة

وتحت وطأة الألم والسأم، والتفكر بمصيره الغائم؟

أو أنه أراد أن ينتقم لنفسه، ويثأر من زعماء الحزب الوطنى الذين أزرؤا به، وتركوه بين الوجود والعدم حسب معتقده، فنظمها ليكيد لهم ويذيع فى الناس ما كتّمه، ليحيل تقدير الناس لهم إلى ضعة؟

أو أن القصيدة رسالة اعتذار إلى الخديو عباس، وعريضة استرحام، رفعها إليه، ليعفو عنه، ويسقط الحكم الصادر ضده، ويعيده إلى مصر؟ إنه طوال القصيدة يندد بزعماء الحزب، ويبين له أن محمد فريد وجاويش دخيلان على مصر، وليسا أصيلين فيها، وأنه مظلوم مخدوع، والآن استفاق وعرف الصواب. إن كل هذا من دوافعه، وبخاصة أنه كان يطلب العفو.

والخلاصة أن مواقفه تجاه الحزب الوصى وزعمائه تبدلت فى هجرته، واختلفت معاييرها، فبعد أن كان يجافى الحكام، صار يتقرب منهم ويهفو إليهم طلبا لعفو وانبر، راجيا أن يقبلوا اعتذاره، ولم يلتفت إليه أحد، فكأنه تنازل عن مواقفه السابقة دون مقابل.

وقصيدته «عيد الكنانة» لا تفيده، أو تجدى على ديوانه، بل إنها تنقضه وتلطمه، وقد أثارت سخطا عليه، ومما قالتها عنه جريدة الوطن، بعد نشر هذه القصيدة: «أظهر الشيخ الغيايتى وطنيته الكاذبة»<sup>(١)</sup>.

وقد أدرك الشيخ الغيايتى مدى الضرر الذى لحق به، من جراء نشر هذه القصيدة، فلم يأت على ذكرها ولو لمحا وهو يسرد ذكرياته عام ١٩٥٢ وحمد الله على نسيان الناس لها، إذ كان قد مضى على نشرها حوالى أربعين عاما، والذين كتبوا عنه كثيرون، ولم يشر واحد منهم إليها، لا بدافع التعظيم، ولكن لأنهم لم يقعوا عليها، ولم يذكرها إلا سيد كيلانى فى مقدمة كتابه «حسين كامل» وسجل مجموعة من أبياتها دون ذكر المصدر، وقد أوردناها كاملة فى الملحق لتراffic الديوان، لأنها الوجه الآخر له، ولتكون تحت بصر الباحثين ليكونوا على دراية.

(١) جريدة الوطن فى ١٠/١/١٩١٢.

## شعره

ديوان وطنيتي، ديوان سياسي، ويعد صورة لعصره، وانعكاساً لأحداثه، لأنه يصور المشاهد الحية في الواقع، ويدون تقلباته، وأصداء ذلك في النفوس، فالغاياتي يحدّثه عن تطلع المصريين إلى الدستور، ومصراع بطرس غالي، وعزل السلطان عبدالحميد، وإعدام الورداني، ودنجر، وهتافه لنواب الشعب وهم يرفضون مشروع مد امتياز قناة السويس، وهجاء روزفلت الذي خيّب آمال المصريين، ومهاجمة قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة، ورحلات محمد فريد إلى أوروبا ودعايته لمصر، وغير ذلك، فحدّثه عن كل ذلك تسجيل لأحداث عصره، وتدوين للمعضيات السياسية التي كانت تعيشها مصر.

ولأن هذا ما كان يشغل الناس، فإن ديوانه لا يعبر عن مزج فردي، بقدر ما كان يعبر عن إحساس الناس والرأي العام. والشعر السياسي ليس من مهامه تسجيل ما جرى فحسب، وإنما إلى جانب ذلك يقوم الشاعر السياسي بالدعاية والإثارة، والتربية الوطنية، وتبصير الناس بالحقائق، وتفتيح العيون على الواقع، وتحريك المشاعر ربخاصة في زمن يحتل الوطن فيه غاصب، ليتأهب الناس لما هو آت، والشعر في مثل هذه الأحوال ليس غناء الذات، ومناجاتها فحسب وإنما هو تعبير عن الشعور القومي.

وقد يلجأ الشاعر السياسي إلى التعبير المباشر، والعبارة البسيطة، لأن المهم هو قوة التبليغ، لذلك لم يعن الغاياتي، بالدرجة الأولى، بالتصوير الخيالي، والرسم الجمالي، والعناية بالألوان والظلال، واختيار الألفاظ ذات الجرس الموسيقي،

والتمادى فى تحسين القصيدة للإمتاع، ودغدغة العواطف والحواس. من هنا خلا ديوانه، أو كاد من التصنع فتراه يكتب الصياغات الأدبية الملائمة للأحداث السياسية، والتى يراعى فيها أن تزيد فى الوعى، وتسمو بالقارئ أو السامع إلى مستوى الحدث، لأن الشعر هنا وسيلة وطنية، ففى قصيدته «آهة مصرى».

أيها الشعب إن فى النيل نارا      فاتق النار بالهدى والثبات  
وادفع الشر بالتى هى أولى      وتجنب مساقط الزلات  
إنهم يرقبون أمرا خطيرا      فترقب أمورهم بالتفات  
إن فى قبضة الشعوب حساما      صادق البأس ماضى العزمات

لا يقيم بناءً فنياً باذخاً، حالياً بالأخيلة العلوية، مزينا بالعبارات البيغة، حافلا بالموسيقى العذبة المحدثه للنشوة، وإنما هى قصيدة سهلة الألفاظ، والتعبير فيها مباشر، وأفكارها واضحة، واللفظ نيس نافرا فى العبارة، وإنما هو فى عبارة توافقه «وهذا فى الغالب» والقصيدة ككل تدور حول مواقف سلبية، يحذر الشاعر الناس من آثارها، وينقل إليهم وصاياها فيها ويقول الغياتى فى مقدمة «وطنيتى» مبينا عن طريقته فى نظم الشعر:

«إننى لا أعنى فى قولى إلا بإبداء شعورى الخاص، وشعور الرأى العام؛ وإبراز ما تدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها، فى صورة ترضاها عامة الشعب، ولا تأباها خاصته، ولست بمدعٍ أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال، وأحلق فى أجواء المجاز، كما يفعل غالب الشعراء، إلا أننى أضرب عن ذلك صفحا، وأعمد إلى الحقائق السهلة، والمعانى المألوفة، فأصوغها فى صور مناسبة من القول».

والشعر الذى يصاغ بهذه الطريقة يكون القارئ أكثر تصديقا له، لأنه ينقل

حيوية الواقع، وروح الحقائق، مع بساطة اللغة التي كانت تميل في زمن الغاياتي إلى التخلص من اللفظ الغريب، وهذا ما يناسب بعض الموضوعات الشعرية مثل الوطنية التي أبرز فيها الشاعر طابع شخصيته وشخصية مصر، ولكن هذه الطريقة لا يتبعها على طول المدى، ففي قصيدته «عودتى بعد هجرتى» التي مدح فيها السلطان حسين كامل تصنع وتكلف وخيال تفضى إلى الكذب مثل قوله:

وأتى الحسين فحولت حسناته مجرى القدر

فهذا من التكنف، والمبالغة المستكرهة، والقول الكاذب الذى يغالظ في الحقائق، لا لأن السلطان حسين لا يستطيع تحويل مجرى لقدر، ولكن لأن أى إنسان مهما عظمت قدرته لا يستطيع ذلك، ويقول بعد هذا البيت:

أولى الكنانة ما تروم من الحماية والظفر

وهو كلام يدل على أن قائله يريد أن يبيع نفسه للسلطان بثمن بخس، وتراه يعتمد إلى تجاهل الحقيقة المرة، وهى أن الإنجليز هم الذين أعلنوا الحماية على مصر إبان سلطنة السلطان حسين، فأى حماية وظفر حققتهما مصر، وإذا كان النقد يرفض شعراء الغزل الفجار، وغيرهم من الفساق، فإنه ينكر مثل هذا الشعر.

### الشعر المتخصص

وديوان «وطنيتى» يعد رائدا في مجال الشعر المتخصص، فقد كانت الدواوين في زمنه وقبل زمنه خليطا من الغزل والثناء والمدح والوصف إلى آخره، أما هذا الديوان فإنه يختص بالوطنيات أو تغلب الوطنيات عليه، حتى وإن اشتمل على مديح وثناء، فمديح محمد فريد وثناء مصطفى كامل، من الشعر الوطنى.

وصحيح أننا نجد شعرا وطنيا في دواوين أخرى، ولكن هذا الشعر الوطنى تائه في ديوان حافل بضروب الشعر المختلفة، ولكن «وطنيتى» تطبعه الوطنية

والأحداث القومية بطابعها، ومن أجل هذا ينطبق عليه عنوانه « وطنيتي »، ومن  
الدواوين الشعرية الأخرى المتخصصة ديوان « هدية الكروان » للعقاد، فأصوات  
الكروان الشادية هي المسيطرة عليه، وهذا لشعر المتخصص من الجديد في الشعر  
الحديث، لأن الديوان الواحد له موضوع وغاية.

والشعر المتخصص مثل أى تخصص فى موضوع، يتوسع فيه الشاعر،  
ويستزيد، ويلون ويسجل الخطرات، وبالنسبة للغاياتى، فإنه فوق ما ذكرنا، يفسر  
الوطنية من منظوره، ويدون العبر المستخلصة، ويضرب الأمثلة فى الوطنية،  
ويحمس قومه ويوصيهم، ويظهر النعمة على المحتل وأعوانه، ويقول ذلك بدون  
مواربة أو تمويه.

ويمكن أن نعد « وطنيتي » من شعر المناسبات، فقد استلهم الشاعر قصائده  
من واقعات وحادثات، ومع ذلك فإننا نفضل القول بأن ما استوحاه هو شعر وطنى  
تغنى فيه بالحق والعدل والحرية، والاستقلال، وهى قيم إنسانية راسخة لا تتغير  
بتغير الحادثات والمناسبات.

أما خطابه ومناجاته فى مصر والشعب متمنيا لهم الحرية والسعادة،  
مستبشراً بتحقيق طموحهم فى العزة:

كفكفى يا مصر دمع الوجل وارثقب يانيل نيل الأمل

ومخاطبا الشعب، ومبشرا له بسطوع النور:

أيها الشعب أفق ولى الظلا م ولاح النور للمستبصر

ويستمر فى مخاطبة معالم مصر وزعمائها، ومجاهديها متفائلا بنتيجة  
جهادهم.

ومما استلفت الأذهان تصويره لشخصيتى الوردانى وبطرس غالى، فيرى أن

الجانى هو المجنى عليه وأن المجنى عليه هو الجانى، يقول عن لشرطة الذين سارعوا إلى القبض على الوردنى، بعد إطلاقه الرصاص.

مالى أراهم مهرعين إلى الفتى وأراه لا يبغى فرار جبان

نالوه بالشر الذى يرضيهمو وجنوا عليه وهو ليس بجانى

ويقول عن رئيس الوزراء السريع فى قصيدة «مصرع الباغى»:

اليوم تعلم ما جنيت وليس علمك ينفع

صرعتك غائلة الردى ولكل باغ مصرع

وهذا التصوير للشخصيات كأنه ينطوى على مفارقة من المفارقات، ولكن المؤرخ النزيه يحكم بصحة التصوير.

وهو يستدعى التاريخ، ويسائله ويتكىء عليه فى تصوير مجد مصر، وإثبات دعواه فى عظمتها وحضارتها، وإماطة الأستار عن علوها وعزتها، ويمضى فى كشف ما هو تألد، وذكر ما هو طارف، ليملاً نفس القارئ حقدا على المحتل:

سائل التاريخ عنها إنه صادق الأخبار جم العبر

تلك دار سجلت آثارها بين إجلال وذكر عطر

ويقول أيضاً:

هل سنو يوسف أبر بمصر أم سنو الاحتيال والأزمات

أين عهد الجلال فى ملك مصر أين عصر العلوم والحسنات

فهو ينقب فى التاريخ على عصور المجد، وسنين الخير والرخاء، ويظهر كيف تناقض الماضى والحاضر من خلال شعر يلتزم الفن والصدق التاريخى.

ولأن شعر وطنيتى حماسى الطابع، فإن عبارته فى كثير من الأحيان، تأتى قدية شديدة، ويكون البيت بشطريه، كأنه جملة واحدة تصدر عن الشاعر فى نفس واحدة، أو دفقة نفسية واحدة، فيها كل ما يريد قوله، وهذا يدل على صدق الشعور وتوقده، لأن النَّفْس الشعري الحاد صورة من الشعور المفعم بالحماسة والانفعال .

وعندما صدر قانون المطبوعات المقيد للصحافة وقوانين أخرى تحظر المظاهرات والتجمعات قال الشاعر:

إن القوانين الجديدة      ليست كما زعموا رشيدة  
نار القلوب أشد من      نيران شدتها المبيده  
والضغط لا يجدى سوى      إظهار ما تخفى العقيدة  
فليحذروا وجد النفوس      س ليأمنوا شر المكيده

بل إنه من أجل أن تأتى العبارة قوية صلبة سريعة الإيقاع، متتابعة النغمات، محتاجة فعالة، كان يستخدم مجزوءات البحور مثل قوله من مجزوء «الكامل» .

هل سال فى مصر الدم      أم ثار فيها المسلم  
ودعا دعاء محمد      داع فذهب النوم  
ومضوا إلى أهل الضلا      ل فأعدموا من أعدموا

فهذه الأبيات أو الزفرات الحارة، ينظمها الشاعر فى نفس واحد، ويطالعها القارئ فى نفس واحد، ولا يملك أن يلتقط نفسه، وهى من شعر الحماسة الصلب، الذى يشبهه أناشيد الحرب، التى تزيد النفس إتقادا، والعواطف اشتعالا .

## عثرات

ولكن شعر الغاياتى، ليس كنه صافى العبارة، عذب الصياغة، يأخذ بالألباب وإنما فيه تجاعيد وثنيات، ولا يخلو من العوار والعثرات، التى تؤثر على صواب المعنى، وتجعل أقواله متهاففة أو غير مستقيمة، ومن هذا قوله فى قصيدة «آهة مصرى» .

### فانهض اليوم ولا ترقب غدا وادفع الشر بسيف الحذر

أراد أن يقول ادفع الشر بالحذر الشديد، فقال بسيف الحذر، والحذر لا سيف له، لأنه توجس وترقب وتخوف، وسيف الحذر من وهم الشاعر: لا من صحيح الخيال، وقوله: «فانهض اليوم ولا ترقب غدا» يتنافى مع الحذر، لأن الإنسان الحذر يرقب كل شىء فى كل آن خوف وقوع الشر. وقوله فى قصيدة دنجرا راثيا له:

### كنت شهما على البلاد غيورا لم يشنك الرضا والإحجام

والعبارة فى الشطر اثنانى قلقه مضطربة، ومعناها لا يعيبه الرضا والإحجام، والرضا ليس عيبا، فكيف وصفه بذلك؟ والإحجام مع الشهامة فى الشطر الأول عيب، فكيف أتى به؟ وكان على الشاعر أن يصوغ عبارة شعرية مفادها أن الشهامة منعتة عن الإحجام، أو أنه لم يخف فأقدم على قتل الوزير الإنجليزي، ولكن البيت بهذا الشكل لا يستقيم.

ويقول فى قصيدة دنجرا قبل إعدامه

### وقدمت نفسا للفداء كبيرة لتبعث وجدا فى النفوس على وجد

و«وجد» لها أكثر من معنى، وهى هنا بمعنى الحزن أو ضرب منه، فهل دنجرا قدم نفسه فداء لوطنه ليثير حزنا فى النفوس على حزن، أو أنه افتدى وطنه بروحه،

فشرح الصدور، وأثار الإعجاب، ونال التقدير لأنه انتقم من أحد الأعداء.

واستهلاله لقصيدة «العَلَم» بقوله:

هوى اللواء فصاح بعده «العلما» وسريه في حمى القطرين معتصما

غير موفق، لأن جريدة «اللواء» لم تهو، وما حصل هو وقوع نزاع بين ورثة مصطفى كامل حول اللواء، ونشأ خلاف بين الورثة والحراسة التي فرضت على الجريدة والحزب الوطني وكانت اللواء لسان حال الحزب.

فلما وقعت النزاعات أنشأ الحزب جريدة «العلم» في مارس ١٩١٠، لتكون لسان حاله، أما اللواء فلم تهو وإنما واصلت الصدور حتى ١٩١٢.

ومن الناحية الأدبية لا تتوافق كلمة هوى مع كلمة صاح، وإنما كان الأفضل أن يصوغ عبارة تأتي فيها كلمة صعد أو ارتفع أو سما «العلم» ليكون بين هوى وسما، مقابلة يقتضيها الكلام، أما هوى وصاح فلا علاقة بينهما.

ويخاطب مصطفى كامل في رثائه له بقوله:

يا حياة النيل جف النيل من وهج الوجد، وأسقانا الظمأ

أي أن مصطفى كامل هو حياة النيل، فلما مات جف النيل من حرقة الحزن، ولم يعد النيل يسقينا ماء، وإنما يسقينا ظمأ. وتعبير أسقانا الظمأ تعبير غير صحيح، لأن الظمأ لا يسقي، وإنما يحس ويستشعر، وحتى إذا حجب شخص الماء عن آخر، فإنه لا يسقيه الظمأ وإنما يجعله يستشعره، فأسقانا الظمأ تعبير ضبابي لا يكشف إلا عن وهم الشاعر، وهذا الوهم أبطل تأثير العبارة المجازية، ولو كان قال: «أضننا الظمأ» لاستقام الوزن والمعنى.

وديان وطنيتي بمستوياته الفنية المتفاوتة يعبر عن شاعر أثر الإنخراط في مشكلات عصره، ولم يعزل عنها، ليحلق بأحلامه الغامضة في الآفاق المترامية،

---

ولم يجعل الشاعر فنه لا يراوح الفن، وإنما رغب في أن يتحرك ويتواصل مع الناس، وتكون له غاية، لذلك ابتعد عن مناجاة الروح، علي قدر المستطاع، وشارك الناس أحاسيسهم بالواقع.

وبالرغم من أنه تعبیر جماعي. فلم يكن بعيداً كل البعد عن الشعر الوجداني الخالص.

إذ إن الشاعر والناس هنا شخص واحد أو نفس واحدة، يقوم هو بالتعبير عنها وإذا كنا لا نستشعر الآن بعض ما قاله من وطنيات، بعد أن تباعدت الأحداث، فإن جيل وطنيتي كان يتذوقه ويتفهمه ويهتز به، وهذا هو التأثير الشعري.

**أحمد حسين الطماوى**

# وطنيتى

بقلم:

على الغاياتى

obeyikan.com

## مقدمة الطبعة الثالثة

ظهرت الطبعة الأولى من «وطنيتي» في الأسبوع الأخير من شهر يونيو سنة ١٩١٠، وقد أقام هذا الديوان دنيا الاحتلال وأقعدتها، ولم يكن يصدر حتى صودر، وهاجر صاحبه سراً من مصر في ٦ يونيو، فحوكم غيابياً، وحكم عليه في ٦ أغسطس بالحبس سنة، كما حكم على المرحوم الشيخ عبدالعزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظة فيها، ولمثل هذا السبب حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد، بعد عودته من أوروبا، وحكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر.

وكان المؤلف قد يمّم شطر الأستانة، حيث أقام خمسة شهور إلا قليلاً، ثم سافر إلى سويسرا، وبقي في جنيف زهاء سبعة وعشرين عاماً، أسس في خلالها أمرته سنة ١٩١٢، وجريدته «منبر الشرق» La Tribune' Orient سنة ١٩٢٠، وعاوده الحنين والرجاء، فعاد إلى وطنه المحبوب في ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٧ وأعاد طبع «وطنيتي» في ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ تحت اسم الحكومة وبصرها بعد أن سقط الحكم وتبدلت الأحوال.

وجاءت الحرب الماضية. واستمرت نحو أربع سنوات لم يتخذ فيها أى إجراء صد هذا الكتاب، الذى يعتبر سجلاً تاريخياً للحركة الوطنية فى فترة قصيرة من ازمن الخالى، ولكن الخليفة الماكرة الغادرة شعرت فجأة بأن فى نشره، ورحى اقتتال دائرة، داعية سيئة لها، فما كان من القلم السياسى المصرى إلا أن أوفد

بعض ضباطه فى صباح السبت ١٧ يونيه سنة ١٩٤٣ إلى المؤلف للبحث عن  
وطنيتى عنده فلما لم يجدوها لديه . أخذوا عليه تعهداً كتابياً بالآلا يطبعها أو  
يوزعها ما دامت الحرب قائمة .

وبذلك تكون وطنيتى قد طبعت مرتين، وصودرت أيضاً مرتين .

وها هى ذى طبعة ثلثة أراد الله لها أن تظهر، والبلاد من أقصى الجنوب إلا  
أقصى الشمال تطالب بالوحدة والجلء، ومن حسن الاتفاق أن يكون ظهورها  
كظهور الطبعة الثانية فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا . الذى  
فاض الديوان بآيات ذكره العطر المحيد .

«أما الجزء الثانى من وطنيتى : وهى هجرتى، فلا يزال الأمل كبيراً فى جمعه  
وطبعه قريباً بإذن العلى القدير، إنه نعم المولى ونعم النصير» .

## المؤلف

القاهرة فى يوم الاثنين

١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧

---

## مقدمة الطبعة الثانية بعد ثمانية وعشرين عاماً

أصدرت هذا الكتاب في منتصف عام ١٩١٠، وقد صودر إذ ذاك وحوكمت من أجله وحكم على غيائياً بالحبس سنة. ولكنى فررت سراً من مصر، وطنى المفدى قبيل المحاكمة ويمت الأستانة حيث أقمت خمسة أشهر، ثم سافرت إلى جنيف وبقيت بها زهاء سبعة وعشرين عاماً، وأخيراً عدت إلى بلدى المحبوب. وسأبين هذه الحوادث بالتفصيل فى مقدمة الجزء الثانى من « وطنيتى » الذى سأنشره قريباً إن شاء الله .

رأيت بعد هذه المدة الطويلة، وقد سقط الحكم على وتبدلت الأحوال السياسية فى وادى النيل السعيد، أن أعيد طبع هذا المؤلف الذى غير مجرى حياتى كل التغيير، ويسرنى أن يتم لى ذلك يوم الذكرى الثلاثين لوفاة رسول الوطنية الصادق الأمين مصطفى كامل باشا الذى فاض كتابى بذكره الطيب واسمه الخالد المجيد . ومن حسن الاتفاق أن يكون هذا اليوم أيضاً يوم عيد الأضحى المبارك ويوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المحبوب فاروق الأول حفظه الله .

### المؤلف

القاهرة فى يوم الجمعة

١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥٦

١١ فبراير سنة ١٩٣٨

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمة ويكافي مزيده والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفياؤه الأقربين . خصوصاً خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله الذي أرسله الله رحمة للعالمين . وجعله سراجاً منيراً للمهتدين . وبشيراً نذيراً للناس أجمعين ، فنبه الأمة من غفلتها وأرسل بينها كتاب الله مصدقاً لما بين يديه من الكتب فأوردها موارد لحياة وأفاض عليها الحكمة والنور فكانت خير أمة أخرجت للناس جاهدت في سبيل الله حق جهاده وقدمت النفوس والنفائس قرابين إليه تعالى فنصرها نصراً عزيزاً وثبت أقدامها على الحق وأظهر دينها على الدين كله وكذلك يعتز الإسلام بقادته والوطن بسادته .

ولعمري لو اتبعنا سنن هذا الدين الخنيف واهتدينا بهدى القرآن الكريم لما بلغ منا الظالمون مبلغاً . ولكننا أمتع شعوب الأرض جانباً وأرفعهم جانباً .

إن الإسلام دين الحرية والمساواة والإخاء وهو رسول السلام العام . وشارع الديمقراطية والدستور . وبالجملة هو مثال الوطنية الصادقة والحكومة الصالحة .

ولا ريب أن أنجع دواء لمصر وهو خير البلاد الإسلامية إنما هي إحياء معالم الدين الإسلامي بين ربوعها وإقامة شعائره في ديارها . فوالذي نفسى بيده ما وجدت سبيلاً أدنى إلى الحياة الخالدة والمجد الأسمى من سبيل النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن شاء لمصر من أبنائها مقاماً كريماً . وخيراً عميماً فليكن رائده الإسلام وإمامه القرآن . ذلك طريق الوطنية القويم ومنهجها الأمين ولله در الحزب الوطني فقد فطن إلى ذلك وحث في المبدأ الخامس من مبادئه الشريفة على نشر

---

المبادئ الدينية الصحيحة بين الأمة.

فوق اللهم قومنا إلى اتباع دينك، وسدد خطواتنا في سبيلك. وصل وسلم  
على عبدك ورسولك النبي الأمي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واتباعين.  
واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا  
الضالين.. آمين.



## إهداء الكتاب

أقدم بين يدي كتابي هذا كلمة أرفه بها هدية خالصة لوجه الوطن الكريم وأبنائه المخلصين، باعثاً به إلى ذلك الروح السابح في فضاء الأبدية، المشرف على مصر وبنيتها من سماء خلوده، داعي لشعب إلى النهضة في حياته وبعث الحياة فيه يوم مماته شهيد الجهاد فقيد البلاد مصطفى كامل باشا.

أمطر الله رمسه الميمون شآبيب رحمته ورضوانه وأحله في جواره الأمين مكاناً علياً.

وبعد فأنزل من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح. رافعاً « وطنيتي » بيد الإخلاص إلى إمامي الوطنية بعد ذلك الإمام، وناشرى لواء الحرية وعلم السلام. متممى شرعة النهضة الغابرة وقائدي زمام الحركة الحاضرة رئيس الحزب الوطني وتحرير لسان حاله حضرتي محمد بك فريد والأستاذ الشيخ عبدالعزيز جاويش. ثبت الله أقدامهما في مواقف النصر وكان لهما ولياً مرشداً.

\*\*\*

إن هذا الكتاب الذي أهدي إليهما إن هو إلا عنوان شعور نفسي تعهداه فسمما. وأمداه فنما. وما أنا مهما إلا:

كالبحر يمحطه السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

فإذا ما أثنت عليهما كان ثنائي ثناء تلميذ معترف بما لهما عليه من حق التربية وواجب الإرشاد. وإذا ما أثنيا على كان ثناؤهما ثناء أستاذ مربٍ حكيم

يريد أن يبلغ بتلميذه شأوا من الفضل عالياً فلا يزال به مشجعاً مرغباً حتى يصل إلى غايته فائزاً بمرجو آماله، ومبروراً أعماله .

كذلك كان شأنى وشأنهما فى هذا الكتاب . وكذلك هما يريان لمصر أبناء أوفياء . ويبدلان فى سبيلهما القويم ما شاءت كبار الآمال، ولا يبخلان بعزيرى الحياة تفاقياً فى حب الوطن وعزته ورغبة فى حياة الأمة وسعادة البلاد .

\* \* \*

فلئن حييت لأنصرن مبادئ الحزب الوطنى نصرأ . ولأطلعن فى دياجى الخطوب من حياتى فجرأ، ولأجودن بالنفس يوم تدعو البلاد للأمر حرأ، بل لأغيرن إن استطعت وجه التاريخ الحديث فى مصر تغييرأ تخر له جبابرة الظالمين سُجداً، ييكون خشية وفرقأ ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهلاً مكبرأ منصورأ إن شاء الله .

فطب نفسأ أيها النيل وسر عذبأ صافياً، فما كلمتى هذه كلمة فرد واحد من أبناءك وأصفيائك . إنما أنا مرسلها من شعور فائض بحبك والوجد عليك وإنه لشعور له فى قلوب نشك مكان مكين . وكم فيك يا نيل من فتى أسكته اليوم التفكير وسينطقه غداً العمل .

إذا اليوم ولئى فراقب غداً فإن غداً لناظره قريب

وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب . فاصبر الصبر الجميل وحسبك الله ونعم الوكيل .

**أحد جنود الحزب الوطنى**

**على الغاياتى**

## كلمة حضرة محمد بك فريد تأثير الشعر في تربية الأمم

الشعر من أفضل المؤثرات في إيقاظ الأمم من سباتها وبث روح الحياة فيها، كما أنه من المشجعات على القتال وبث حب الإقدام والمخاطرة بالنفس في الحروب ولذلك نجد الأشعار الحماسية في قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمم المجيدة كالرومان واليونان وغيرهما.

وليس من ينكر أن الأنشودة الفرنسية التي أنشأها الضابط الفرنسي روجيه دى ليل وسميت المرسليليز<sup>(١)</sup> كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوروبا الذين تألبوا لإخماد روح الحرية في مدأ ظهورها.

لذلك كتب الكاتبون منا كثيراً في ضرورة وضع القصائد والأغاني الوطنية ليحفظها الصغار ويترنموا بها في أوقات فراغهم ولينشدوها في ساعات لعبهم بدل هذه الأغاني والأناشيد التي يرددونها أطفال الأزقة خصوصاً في ليالي شهر رمضان المبارك. كما كتبوا في لزوم تغيير الأغاني التي تنشد في الأفراح وكلها دائرة حول نقطة واحدة هي الغرام ووصف المحبوب بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد كانت من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء في الغرب أو الشرق إماتة الشعر الحماسي وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد والإطراء الفارغ في الملوك ولأمراء والوزراء؛ ابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب الحرية والاستقلال، كما كان من نتائج هذا الاستبداد خلو خطب المساجد من كل فائدة تعود على المستمع حتى أصبحت كلها تدور حول موضوع التزهيد في الدنيا والحض على الكسل وانتظار الرزق بلا سعى ولا عمل.

(١) خلاصة تاريخ المرسليليز مذكورة في مقدمتي بعد.



رسم حضرة محمد بك فريد

تنبهت لذلك الأمم المغلوب على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات، ويسرنى أن هذه النهضة المباركة سرت فى بلادنا فرك أغلب الشعراء نظم قصائد المديح للأمراء والحكام وصرفوا هممهم واستعملوا مواهبهم فى وضع الأشعار الوطنية وإرسالها فى وصف الشؤون السياسية التى تشغل رأى العام. وقد لاحت « وطنيتى » فى طليعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة .

وما يزيد سرورى أن شعراء الأرياف وضعوا عدة أناشيد وأغانٍ فى مسألة دنشواى وما نشأ عنها وفى المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية . . وفى موضوع قناة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعاتها وأخذوا ينشدونها فى سمرهم وأفراحهم على آلتهم الموسيقية البسيطة، وهى حركة مباركة إن شاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثمرت ووصل تأثيرها إلى أعماق القلوب فى جميع طبقات الأمة، وتبشر باقترب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سيطرة لفردي باذن الله .

فعل حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة ومواسم معدودة، وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية العالية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء وتمليق الأمراء والتقرب من الوزراء، فالحكام زائلون والأمة باقية .

والسلام على من سمع ووعى ووفق لخدمة بلاده وسعى . فإن سعيه سوف يُرى ثم يُجزأه الجزاء الأوفى؟ (الإمضاء<sup>(١)</sup>)

محمد

(١) هذا التوقيع أخذ بالزنكوجراف عن خط يد فريد بك نفسه وكذلك توقيع الأستاذ الشيخ عبدالعزيز المدينة به كلمته التالية

---

## كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش الشعر والشاعر

قد يتوهم بعض المتشاعرين أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ذات الروى الملتزم فتراهم أحرأ ما يكونون فى تقصيد القصائد والانتساب إلى دعوى الشعر معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه وشرائط صحته وكماله عالين أن الأدب قليل أهله الذين يميزون بين الخبيث والطيب ويدركون دقائق الفروق التى بين الأبيات العامرة والأبيات الغامرة لاسيما فى هذا الوقت الذى ضعفت فيه ملكة اللغة العربية إذا طرأ على العرب من العجمة المتفشية ما أصبح معه الذوق بعيداً عن السلامة وتأليف العبارات أحوج ما يكون إلى الاستقامة.

إذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر، فإن أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه، كما أن أجمل الصور ما يملك بصرك حتى يغيب عنه، إذا شئت أن تعرف الفرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع فإن شعرت وقت سماعه كأن معانيه أرواح تناجيك وألفاظه تكاد تخرج من فيك، فذلك هو المطبوع، وإن ذهبت أغراضه بقلبك مذاهب شتى ولم يجمل فى السمع ديباجته وتنسيقه. فذلك المصنوع الذى لا يرد عكر معينه إلا متشاعر جاهل أو شاعر مأجور، وكيف يجمل الشعر ويلد استماعه إذا خرج من قلب لا يتأثر ونفس لا تتفعل؟ وهل الشعر إلا مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التى تقوم بنفس واضعة؟

قال عبد الملك (١) لأرطاة بن سهيل كيف أنت الآن في شعرك؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربعة.

ليس الشعر أن يعمن الشاعر فيما وراء الحقائق من الصور الوهمية أو أن يسلك سبيل الإغراق في المدح والذم فإنه الشعر تصوير ما يدور بالذهن من الصور فكما أن أمهر المصورين ليس ذلك الذي يؤلف بين الأجزاء المتنافرة أو الذي يرسم على الورق ما لا يضابق شيئاً من حقائق الأشياء الخارجية بل هو ذلك الذي يعمد إلى أحد الكائنات فيصوره مجيداً «تضليله» حتى يخيل إلى رائيه كأنما ينظر إلى ذلك الكائن الثابت في الخارج. كذلك أمهر الشعراء من يأتي إلى الحكم والقضايا الصادقة فيبرزها إلى السامع بعبارات تصبى الألباب إليها وتدفع المستمع إلى العمل بمقتضاها.

وماذا على الشاعر بعد أن يوفى شعره قسطه من الصدق وثاقب الرأي سوى أن يجيد تأليف العبارات ويحكم مضابفة المعاني بعضها ببعض، فإنما الشعر كالتوقيع واللحن، فكما أن اللحن لا يخف على السمع إلا إذا تناسبت الأجزاء التي يتألف منها كذلك الشعر إذا لم تألف عباراته ولم تتناسب معانيه كان صمماً للأذان. وغمّة لنفس الإنسان.

(١) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية ولد سنة ٢٦ ومات سنة ٨٦ هجرية وأرطاة بن سهيل شاعر فصيح شريف في قومه صادق كريم وهو معدود في طبقات لشعراء الإسلاميين في دولة بني أمية له يسبقها ولم يتأخر عنها وله مع عبد الملك مواقف مذكورة وهو القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي      كأكل الأرض ساقطة الحديد  
وما تبغي المنية حين تأتي      على نفس ابن آدم من مزيد  
وأعلم أنها ستكر حتى      توفي نذرها بأبي الوليد

وكان يكنى بأبي الوليد. رحمه الله تعالى.



رسم حضرة الأستاذ عبدالعزيز جاويش

مقلدا وسام الشعب

ومن شاء أن يرى نموذجاً من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعاني بين  
إحكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من « وطنيتي » ومن شاء فليسأل عن  
آثارها تلك الهمم الناهضة والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة فإنها من غراسها  
وجميل ثمارها؟

الإمضاء

عبد العزيز جاويش

## المقدمة

لست بقائل فى نعت الشعر وتأثيره فى النفوس وتربية الأمم بأكثر مما قال القائلون وكتب الكاتبون وحسبى ما حليت به صدر « وطنيتى » من جمل مأثورة. ودرر منثورة. سطرها يراع قائدى الحركة الوطنية فى مصر وخير معبرين عن الشعور وتأثير الشعر فى العواطف ونهضة الشعوب. ولكنى أرى مصر وهى الغنية بشعرائها الوطنيين فى هذه الأيام تكاد تكون أفقر أمة فى هذا الصدد وأعوز الشعوب جميعاً إلى الشعر والشعراء.

أجل إن مصر لشديدة الحاجة إلى شعراء يبكون إذا بكثت ويبتسمون إذا ابتسمت. وهم فيما بين ذلك ينفثون فى النفوس من روحهم. ويبثون فى الأمة من شعورهم.. حتى يُشربوا القلوب حب البلاد. ويستمطروا مدامع الوجد عليها والكلف بها هنالك تنهض الهمم وتتوقد العزائم وتعمل النفوس الحرة الأبية على كسر أغلال الظلم وسحق أصفاد الاستبداد، هنالك تترى فى النشء روح الحمية الوطنية. والغيرة القومية فما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يبلغ الشعب بقوة شعوره وإرادة شعرائه مستوى الشعوب احية ويدرك شأو الأمم الحرة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

إن الشعراء فى كل أمة هم عنوان حياتها ومقياس رقيها فمتى انصرفوا، عن مواقف الجدى واستحبوا الغى على الرشد وأنساهم رنين الكؤوس أنين النفوس. وشجى الألمان. شقى الأوطان. وسماحة الجميل. سماجة « الدخيل » وهوى الفتاة. هدى الحياة ومامل العطاء مكمن البلاء. ومريع الأمراء. موقع الأرزاء

والمدح والهجاء . النصح والوفاء . فقد حقت عليهم كلمة الخزى والعار وكانوا  
لبلادهم وياً وحرباً .

ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمة الأمة وتخليد مجدها أصبحوا عنوان عزها  
ومطلع سعدها كذلك كان شأن الشعراء فى كل جيل .

فليت شعرى أين شعراء مصر؟ لقد كثر عددهم وقل مددهم . إنه ليوشك ألا  
يكون منهم عند ذكرى الوطن إلا سيف من يقف موقف المدافع المهاجم يقتحم  
الصعاب ويهزم الخطوب . يحارب الآلام ويصافح الآمال . يهز العرش إذا ما شاء  
ويدك الطود إذا ما أراد يبنى لقومه بسنان قلبه مجدداً باقياً وينشر عنهم فى الملأ  
ذكر عاطراً .

فأين شعراء مصر؟ بل أين الشعراء فى مصر؟ إلا أنهم عند تلك الذكرى  
لقليل ولدى ذلك الموقف العظيم لأقل .

ليت شعرى هل يستطيع أفراد من الشعراء لا يجاوزون أصابع اليد عدداً ولا يذكرون  
البلاد إلا قليلاً أن ينهضوا بالأمة النهضة المأمولة ويبلغوا بها الدرجة المرجوة؟؟

أليس من العار أن يقتتل أكثر شعرائنا على الشهرة اقتتالاً ثم ننظر فقلما نرى  
لهم فى مواقف الوطنية مجالاً ولا مقالاً؟ أليس من المخجل أن نقيم للمظاهرات  
وتنشئ الجمعيات ونسير فى سبل الحرية والاستقلال سيراً حثيثاً ثم لا نعرف لنا  
نشيداً وطنياً يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات  
ووحداناً؟ بماذا نعتذر وبماذا نجيب وبيننا الشعراء القادرون والكتاب المفكرون؟ إننى  
لا أعتب بهذا القول على جماعة الأدعياء الذين يريدون أن يصعدوا إلى السماء  
بغير مرقاة والذين جعلوا ديدنهم الطعن والتشهير بكل ناظم ونائر ولا يكادون  
يذكرون سواهم بخير، فما هم بأمر ذى بال، فأعتب عليهم ولو كان لهم بين الأمة  
حسنة تذكر لكان لهم حظ من هذا العتاب . . وإنما أنا عاتب على خيرة الشعراء

وصفوة الكتاب الذين يعلمون حاجة الشعب إلى التشجيع بمأثور القول من القصائد والمقاطع الوصية والأغاني والأناشيد الحماسية. ثم لا يؤدون هذا الواجب الوطنى المقدس ويمحون هذه النكتة السوداء من صحيفة النهضة الحاضرة المرجوة.

أجل إننى أعتب عليهم كثيراً وأرجو أن يكونوا فى طليعة المجاهدين الأحرار من إخوانهم وأبنائهم الوطنيين. وما ذلك عليهم بعزيز.

\* \* \*

أما بعد فهذه مجموعة صغيرة أتيت فيها على مجمل ما نظمته فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أائل سنة ١٩٠٨ إلى أوائل سنة ١٩١٠ متتبِعاً فى قولى سير الحركة الوطنية. مشرفاً على مشاهد النهضة الحاضرة فى هذه المدة من سماء الحزب الوطنى فى « اللواء » ثم فى « العَلَم » ولا ريب أنها أدنى سماء يشرف منها المؤرخ السياسى والكاتب الوطنى على أدوار الحركة الوطنية وأطوارها فى مصر.

لهذا أرانى فيما نظمت ناطقاً فى أكثر المواضع بلسان الرأى العام ممثلاً شعور الأمة أقرب تمثيل. بيد أنى قد يدفعنى شعورى الخاص فى بعض المواقف إلى الجهر بما لا يحب الجهر به بعض الناس وذلك لأنى لا أستطيع حكم عواطفى كثيراً فى مثل هذه الشئون المثيرة للوجد الكمين، المعدلة للسر المكنون؛ وأرى مما لا طاقة للنفس على احتمالها فى هذه الحال إضمار الحقائق الظاهرة. ومغالطة الحس ومكابرة الواقع وإلباس المسائل ثوب الرياء والنفاق لذلك أسير فى بعض أقوالى بتأثير هذا الشعور ولا أبانى، وقد أرضيت الوجدان وأبديت الحق الصراح بما عساه بعد ذلك أن يكون هذا خلقى فى كثير مما نظمت وسيكون خفى فى جميع ما سأنظم إن شاء الله.

أما منزلتى فى الشعور والحكم علىّ باعتبارى شاعراً فهذا ما لا عاية لى به ولا اهتمام لى بشأنه وما الأمر فيه إلا بيد الأجيال المقبلة وحدها إن شاءت كنت لديها من المحسنين، وإن لم تشأ فلا حرج عليها، على أنى لا أعنى فى قولى إلا بإبداء شعورى الخاص وشعور الرأى العام وإبراز ما تدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها فى صورة عامة الشعب ولا تأباها خاصته. ولست بمدع أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال وأحلق فى أجواء المجاز كما يفعل غالب الشعراء إلا أننى أضرب عن ذلك صفحاً وأعمد إلى الحقائق السهلة والمعانى المألوفة فأصوغها فى صور مناسبة من القول. كلا فما أنا بقائل ذلك ولا مدعيه لنفسى. وإنما أنا مرسل من الشعر بين ما قومى ما يطمئن إليه قلبى وتشعر به نفسى ثم يكون للحواث راويا وللتاريخ واعياً وللعمامة منعها وللخاصة مذكراً راويا هذا ما أقوله عن نفسى ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولقد أضلنى الشعراء من قبل فطرت فى بدء محاولتى النظم موضوعات لا خير فيها للبلاد ولا ذكر للأمة والوطن. وقد جمعت بشيء منها فى ذيل الكتاب ليكون مثلاً رادعاً يرى فيه القارئ صوراً تقريبية تمثل طبائع أكثر الشعراء وتقدر آمالهم فى الحياة وتكشف النقاب عما تسوله لهم أنفسهم وتوحيه إليهم شياطينهم، أما عذرى فى ذلك إن حاولت الاعتذار فذاك أننى كنت فى معزل عن الحركة الوطنية لا أعرف من أمرها شيئاً وحسبى أنى ولدت فى مدينة دمياط ونشأت فيها بين قوم كرام غير أنهم «محافظون» يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق. ولقد بقيت فيهم حتى ناهزت الثانية والعشرين من العمر، ثم غادرتهم آسفاً مسروراً ميمماً القاهرة «يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧» على أنهم لا يزالون إلا قليلاً - من نشئهم المأمول - أبعد العباد عن ذكر البلاد.

هذ عذرى وهذه خلاصة قولى عن نفسى . وتلك « وطنيتى » أقدمها إلى  
امتى . وهى باكورة أقوالى وفتحة كتبى والله كفىل بتحقيق أملى فى مستقبل  
عملى وهو ولى العاملين ونصير المخلصين .

\*\*\*

بقى على أن أذكر فى ختام هذه المقدمة شيئاً عن « المرسلين » وهو التشيد  
الفرنسى الشهير الذى أتى على ذكره رئيس الحزب الوطنى فى كلمته ولقد رأيت  
أن أتبع ذلك بذكر أنشودتين جميلتين ومنظومتين وطنيتين أولاهما تلقن لصغار  
الأطفال بفرنسا وثانيهما تهيج الشجون وتجري الشئون وتحبب إلى النفوس الجهاد  
حتى الممات فى سبيل الوطن المقدى وهى لرجل فرنسا وشاعرها الكبير « فيكتور  
هوجو » . ليكون ذلك نموذجاً يراه شعراؤنا فينسجون على منواله ويربون الأمة من  
أطفالها إلى كهولها على حب الوطن وتمجيد الوطنيين بجميل أشعارهم وبديع  
أناشيدهم، وقد توخيت فى ذلك نشر النص الفرنسى حرصاً على سمو معناه  
وبلاغة ميناه مستعيناً على فهم ما لم أفهم من مفرداته وتأليف عباراته ببعض  
إخوانى المتشبعين بمعرفة هذه اللغة الرقيقة . الواردين مناهلها العذبة الصافية  
جعلهم الله ذخراً للوطن وعوناً للمواطنين .



## La Marseillaise المرسلين

هبّت الأمة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر بعد الميلاد ونهضت نهضة الليث القوى عاملة على الخلاص من قبضة الحكم الملوكي الظالم الذي سامها الخسف والهوان. وأثقل كاهلها بالضرائب والمغارم ساعية دائبة وراء الحرية والإخاء والمساواة.

وكان ملك فرنسا في ذلك الحين «لويس السادس عشر» مستسلماً لإرادة حاشيته الظالمة وزوجته المستبدة المسرفة «ماري أنطوانيت» تلك المرأة النمساوية بنت ملك النمسا «فرنسوا الأول» التي ولدت في فيينا وتزوجها ذلك الملك الضعيف فأصبحت ملكة لفرنسا. وقد كانت حمقاء عدوة للإصلاح ولإنصاف وكانت تحتقر الشعب الفرنسي الكريم وتعامله معاملة ياباها الحر وتعافها النفس الشريفة وهي التي دفعت زوجها الملك إلى مصادرة الأحرار والوقوف في وجوههم فلما اشتدت الأزمة وحمل وطيس<sup>(١)</sup> انثورة كتبت إلى أبيها مستنجدة مستجيبة فلم تغنها تلك الجيوش الأجنبية والجنود الجرارة المنتصرة للملوكية بل كن الغلب للأمة والنصر العزيز لفرنسا الحرة وقد سجنّت هذه المرأة الطاغية ثم لقيت حتفها بآلة الإعدام - المقصلة - في ١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٣ ولحقت بزوجها الذي ناله مانالها ودالت دولة الغي والطغيان وكذلك عاقبة الظالمين.

وليبتها وهي أجنبية غريبة عن العائلة المالكة كانت تحترم إرادة الشعب الذي يحترم إرادتها ويقي حكومتها بأمواله ورجاله من حادثات الليالي وطوارق الخطوب ولولاه لما استقرت للحكومة قدم في الوجود ولما تجلت ملكة أو اعتر ملك

(١) الوطني التنور وحمل وطيس هذا الأمر أي اشتد واشتعلت ناره.

بأبهة الملك وعظمة الدولة بل لولا الشعب لثلت العروش وانتزعت التيجان من الرؤوس وحل بالحكومة الويل والهوان .

لم تتدبر هذه الملكة الظالمة فى أمرها وسارت فى الأمة سيرة الملوك المطلقين والحكام المستبدين فقابت إحسان الرعية بالكفران مستعزة بسلطان الملك مضللة بشياطين الملوك .

وكانت ترى أنها مالكة الرقاب ومقدرة الأرزاق - كما يرى بعض الحكام فى هذه العصور فاستحقت غضب الشعب ويا ويل الحكومة من غضب الشعب وكانت عاقبة أمرها الهلاك والدمار .

قامت الأمة قومة واحدة تدفع العار عن نفسها وتشيد للوطن مجدداً باذخاً وعزاً منيعاً فأرادت دول الظلم وأنصار التقهقر مصادرة الأمة ومحاربتها وضربت جيوش النمسا على شاطئ نهرى الرين أمام تلك المدينة العظيمة العريقة فى فرنسيتها ومجدها التلد ستراسبورج<sup>(١)</sup> وكان بهذه المدينة منذ حدثت مسألة الحرب حركة وطنية واستمرت نحو ستة أشهر فكانت جماعات المتطوعين وفرق الشبان المشتعلين غيرة ووطنية تفتد إليها من باب . فى حين أن جماعات المحاربين كانوا يذهبون للقتال والنزال من باب آخر، وكما أن هذه المدينة كانت ساحة للحرب فقد كانت مع ذلك مسرحاً مائجاً بالشبيبة وأنواع الابتهاج وجميل المناظر وكانت تختلط ضجة آلات الكفاح المستمرة بالحن آلات الحفلات والأعياد وكان الأصدقاء يتلاقون ويتعانقون قائلاً بعضهم لبعض «الوداع . الوداع» وكانت الأخوات تبكى والأمهات تصلى وتبتهل . والآباء يقولون للأبناء: « اذهبوا وموتوا لأجل فرنسا » .

( ١ ) عاصمة الألزاس التي استولت عليها ألمانيا فى حرب السبعين وانتزعتها من يد فرنسا وهي قلعة محصنة على نهر الرين وبها ساعة فلكية كبيرة .

قال إسكندر دوماس الذى نقل أكثر ما هنا عن روايته « الكونتس دى شارنى » كل هذا كان تحت دقات الأجراس ورعود المدافع وكان هاتين الآلتين كانتا تكلمان الله تعالى مستمطرة إحداهما رحمته . راجية الأخرى عدله .

وفى بعض المرات العظيمة استدعى عمدة هذه المدينة الشبان المتطوعين الشجعان لوليمة أقامها لهم ليؤاخى بينهم وبين ضباط الحامية وكانت ابنتا العمدة وجماعة من رفيقاتهما الفتيات جالسات فى صدر هذه المائدة الوطنية ليزدنها زينة ويضاعفنها شعوراً وشرفاً وكان بين الحاضرين شاب له شأن عظيم وهو ضابط فى الهندسة الحربية مقيم فى حامله ستراسبورج لا يتجاوز عمره عشرين عاماً . وكان شاعراً مؤثراً وموسيقياً مبدعاً . وكان صوته الرنان من أعظم الأصوات التى ترتفع بالحماسة والوطنية ذلك هو روجيه دى ليل Rouget de l'Isle .

ولقد كانت هذه الحفلة أعرق فى الفرنسية وأكثر فى الوطنية من كل حفلة سواها وكانت تلك المائدة مضاءة بأسطع شمس بزغت فى شهر يونية سنة ١٧٩٢ ولم يكن أحد فى الحاضرين يذكر نفسه بل الكل مشغول بذكر فرنسا وللموت فى سبيلها وما كان هذا الموت إلا موتاً جميلاً مبتسماً .

وقد أرادوا أن يتغنوا بأنشودة جديدة حماسية وطنية بدل الأنشودة الفرنسية القديمة التى كانت للهياج والغضب والحرب الأهلية .

أرادوا أن تكون أنشودتهم الجديدة وطنية أخوية مهددة للأجنبي منذرة للعدو يترامى سامعها عند ذكرها بين المدافع والقنابل والقواضب غير هباب ولا وجل فهب من بينهم ذلك الضابط العظيم روجيه دى ليل قائلاً أنا لها ثم اندفع خارجاً وبينما أوشك القوم أن يقلقوا لغيابه من بينهم عاد إليهم بعد نصف ساعة منتصراً على الشعر والموسيقى مرتقياً شعره على ظهره متناثراً عرق جبينه وهو يلهث<sup>(١)</sup> من

(١) لهث الرجل أعيا وتعب وبابه قطع .

المعركة التي اصطلى ناراها بين الأختين الجليلتين - الشعر والموسيقى - حتى انتصر عليهما فقال لهم اصغوا إلى جميعاً وكان على ثقة من شاعريته وتأثير شعره فلما سمعوا صوته توجهت أنظارهم إليه ووقفوا له إجلالاً وكان البعض آخذاً قدحه في يده والبعض ممسكاً بيده يداً أخرى مرتجعة فابتدأ روجيه بالمقطوعة الأولى وما كاد ينتهي من توقعيها حتى أخذت القوم هزة الوطنية ودوى المكان بصيحاتهم ولكن أصواتاً أخرى دعتهم إلى الإصغاء فأصغوا فاستمر روجيه فى لحنه وشعره مرسلأ من القلب إلى القلب رسول الوجد والأنين حتى وصل إلى لمقطوعة الأخيرة فأنشدها بصوت عال ونغمة مهيجة بعد أن اضطر إلى أن يطلب من سامعيه الذين لم يتماسكوا أنفسهم من الانفعال والهيّاج أن يستمعوا له وقد كان فى هذا الصوت مهدداً متوعداً فصاح الكل صيحة التأمين والمبايعة على نصره الوطن ودفع الآباء أبناءهم الذين يستطيعون المشى إلى الأمام. ورفعت الأمهات صغار أولادهن الذين لم يبلغوا درجة إخوتهم على أذرعهن ليكونوا جميعاً فداء الوطن المقدس فشعر روجيه حينئذ بأنه تنقصه مقطوعة تكون غناء للأطفال ولحنأ جليلاً لرجال المستقبل وكان القوم يرددون بين المقطوعة والأخرى مقطوعة صغيرة خاصة بالترديد والترجيع فتركهم روجيه يرددون نغماته الرنانة وأسند رأسه إلى يده ولم تحل هذه الضجة وأصوات التحبيذ بينه وبين ما أراد فصنع المقطوعة التي رامها وأنشدها بين عبارات الأمهات وزفراتهن وصيحات الآباء وإعجابهم فلم يسمع عند ذلك غير أصوات الأطفال الصغار التي كانت ترد عليه برقتها وصفائها بين الأناث والصيحات، ولما أفاق القوم قال بعضهم ألا نعفو عن أولئك الذين ضلوا سوام السبيل منا؟ فقال روجيه هذا ما لا أنساه وأنشد مقطوعة مقدسة تمثل روح فرنسا الطاهرة وإنسانيتهما وعظمتها وجلالها قال فيها:

«أيها الفرنسيون المحاربون الأقوياء حولوا طعناتكم وتجاوزوا عن هؤلاء

اضحيا المساكين الذين تسلحوا ضدكم بالحسرة والندم» وكان التصفيق يقاطعه والأصوات من كل جانب مرددة كلمة العفو والصفح عن المستعبدين المدفوعين مكرهين ضد أمتهم.

ثم أنشد مقطوعة ضج لها المكان واشتعلت القلوب ناراً ضد الظالمين والذين شاركوهم في الجناية مختارين من أبناء فرنسا الخائنين أولئك الذين فقدوا للرحمة ومزقوا ثدى أمهم البارة وبعد أن ردوا عليه قال «الآن يجب أن تركعوا جميعاً كيفما كنتم» فركعوا أجمعين وبقي وحده واقفاً وإحدى قدميه على كرسي أحدهم كأنهم يضعها على الدرجة الأولى من هيكل الحرية والمجد وقد رفع ذراعيه نحو السماء وأنشد المقطوعة الأخيرة. فدوى المكان بصوت واحد قائلاً «هلموا فقد نجت فرنسا» وارتفعت كلمات اللعن والغضب على الظلم والاستبداد. وعلى أثر ذلك أسكر القوم باعث السرور وأخذهم جنون الفرح فارتمى كل واحد في أحضان جاره، وأخذت الفتيات الأزاهير بملء يديها ونظمتها طاقات جعلت منها كاليل عند قدمي روجيه وكتب الله النصر والظفر لهؤلاء القوم المجاهدين الأحرار. وكان هذا النشيد خير باعث على الجهاد ومشجع على مواقف القتال والانتصار. كما أنه عمل لحرب جيش الرين وعرف باسم «نشيد حرب جيش الرين» فقد كان أيضاً نشيد إخاء وائتلاف واتحاد ولما كان أهل مرسيليا «Les Marseillais» هم أول من حمله إلى باريس ولقنوه لأهلها فقد أخذ اسمهم وانتشر في جميع أنحاء فرنسا باسم «المرسليز».

أما القطعة الأولى من هذا النشيد الوطني المؤثر فهذا نصها:

“Allons, enfants de la patrie.

le jour de gloire est arrivé.

Contez nous de la tyrannie.

l'étendard sanglant est levé.

---

Entendrez-vous dans nos campagnes.

Rugir ces ferores soldats.

Ils viennent jusque dans nos bras.

Egorger nos fils, nos compagnes.

وهذا شعاع من ضوء معناها اساطع:

هلموا يا أبناء الوطن فقد لاح يوم المجد .

لقد رفعوا ضدنا علم الظلم الدامي فهل تسمعون أصوات هذه الجنود  
المتوحشة بين أحيائنا .

لقد أصبحوا بين ذراعينا يذبحون أولادنا ورفاقنا .

أما رد القوم على كل قطعة فهذا نصه :

“Aux armes, citoysns ! formez vos bataillons.

Marchons, marchons.

Qu'un sang impur abreuve nos sillons.

أى - السلاح السلاح يا بنى الوطنى كُونُوا صفوفكم ولنسر إلى الأمام إلى  
الأمام وليرو دمهم الفاسد أخاديد<sup>(١)</sup> أرضنا .

وهذا نص المقطوعة الأخيرة التى أنشدها روجيه والقوم راكمون :

“ Amour sacré de la patrie.

Conduis, soutiens nos bras vengeurs.

Liperte liperlè cheriè.

Combats avec tes défenseurs.

Sous nos drapeaux, que la victoire.

Accoure á tes mâles accents.

---

(١) الأخاديد جمع أخدود وهو المستطيل فى الأرض .

Que nos ennemis expirants.

Voient ton triomphe et notre gloire”.

«أى - يا حب الوطن المقدس أشدد أزرنا وقو سواعدنا المنتقمة .

أيتها الحرية، أيتها الحرية العزيزة، حاربي مع المدافعين عنك .

وليسارع النصر تحت أعلامنا إلى إجابة ندائك العالى وصوتك القوى .

ولينظر أعداؤنا المندهرون انتصارك ومجدنا العظيم» .

فليت شعرى أى شعب يسير فيه مثل هذا النشيد ويأخذ بفؤاده هذا التأثر وحب الحرية ثم لا يكون خير الشعوب وأرقاها؟ أية أمة ينالها ما نال فرنسا فى هذا العهد من الظلم والإرهاب ثم لا تكون عقبها السعادة الدائمة والحياة الخالدة؟ ألا أنه مما لا ريب فيه أن الحكومة كلما انتهجت منهج الجور وسلكت سبل العسف فتحت من حيث لا تدرى للأمة أبواب الحرية الواسعة، وهدتها طرق السعادة المنشودة . والضغط لا محالة يحدث الانفجار .

فطوبى لأمة تقوضت فى ديارها دعائم العدل . ووقف حكامها لها بكل سبيل وقفة الذئاب أمام الشياه . فنظرت ذات اليمين وذات الشمال مستجيبة مستعيذة فما رأت غير ظلم وظلام . يأخذ أموالها الحاكم المستبد بإحدى يديه . ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى . فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى . ويذلها ليعز . ثم يسد فى وجهها مناهل العلم . لتنفس أمامه مناهج الظلم . حتى إذا ما رفعت رأسا أثقلته المظالم، أو فتحت عينا أغمضتها رؤية الظالم، أو شكت وبكت، ثم استرحمت واستنصفت كانت الطامة الكبرى عليها والويل الأعظم لها ولا يزال هذا حالها مع حكامها حتى تفيض الكأس . ولا تجد النفس طاقة لها على ما احتملت ويرتفع بين الأمة صوت الإباء مردداً قول أبى العلاء<sup>(١)</sup> .

(١) هو أبو العلاء المعري أحد فلاسفة الإسلام الكبراء وشعرائه الحكماء ولد فى معرة النعمان بالشام سنة

٣٦٣ ومات سنة ٤٤٩ هجرية رحمه الله تعالى .

---

مل المقام فكم أعاشر أمة      أمرت بغير صلاحها أمراؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها      فعدوا مصالحها وهم أجراءها

هنالك تشرق شمس الانتقام وتأخذ الشعب نشوة الانتصار وترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى ولكن يوم الظالمين يوم عصيب هنالك يغير الله حالاً  
بعد حال . وتستوى الأمة على عرشها، تدير دفة الحكم بيدها . وتسير القضاء  
العدل بإرادتها، هنالك ينادى منادى الحكومة الأهلية الدستورية العادلة بصوت  
مدو فى أرجاء البلاد أن « لا ظلم اليوم . لا ظلم اليوم » .

تلك عاقبة جور الحكومات وصبر الأمم وكذلك كان شأن فرنسا وأنها لذكرى  
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

هذه خلاصة ما أرويه وأبديه فى تاريخ المرسلين وموضوعه الخطير أما  
الأنشودتان الأخريان فهما :



## الأنشودة الأولى «فرنسا»

### La France

“La France est bell.  
Ses destins sont benis.  
Vivons pour elle!  
Vivons Unis!  
Passez les monts, passez les mers.  
Visitez cent climats divers,  
Loin d'elle au bout de l'univers.  
Vous chanterez pour elle:  
La France est belle etc”

ومغراها ما يأتي :

«فرنسا جميلة مباركة الحظوظ، فلنحى لأجلها ولنعش متحدين يا بنى فرنسا اجتازوا الجبال وعبروا البحار وجولوا فى أطراف العالم بعيدين عنها ثم أنشدوا لها: «فرنسا جميلة مباركة الحظوظ إلخ».

هذه أنشودة صغيرة لطيفة يتناولها كما يتناول كثيراً من أمثالها أبناء فرنسا فى طفولتهم ولا يكادون يصلون إلى سن الشبية أو الكهولة أو الشيخوخة حتى يتناولوا من أناشيد شعرائهم وقصائد أدبائهم على اختلاف درجاتهم ما يشد عزائمهم ويقوى سواعدهم ويحى نفوسهم على حب الوطن والتغنى بذكراه. فهل لأطفالنا أو لشباننا أو لكهولنا وشيوخنا من شعرائنا ما لهؤلاء السعداء من شعرائهم؟ وهل لمصر ما لفرنسا من حياة الشعر الوطنى ونهضة الشعراء الوطنيين؟

---

## الأنشودة الثانية «الوطن»

### La patrie

“Ceux qui pieusement sont morts pour la patrie.  
Ont. droit qu’a leur cercueil la foule vienne et prie.  
Entre les puls beaux noms leur nom est le plus beau.  
Toute gloire pres d’eux passe et tombe ephemere.  
et comme ferait ure mere.  
la voix d’un peuple entier les berce en leur ombenu.  
Gloire a notre France eternelle!  
Gloire a ceux qui sont morts pour elle!  
Aux martyrs! Aux vaillants! Aux! forts!  
A ceux pu’enflamme leur exemple.  
Qui veulent place danse le temple.  
Et qui mourront comme ils sont morts!  
C’est pour ces morts, dont l’ombre est ici bienvenue.  
Que le haut pantheon eleve dans la nue  
Au dessus de Paris, la ville aux mille tours.

---

La reine de nos Tyrs et des nos Babylohes Cetts couronne de colonnes.

Que le soleil levant redore tous les jours!

Gloire a notre France eternelle!

Gloire a ceux qui sont morts pour elle! etc.

Ains: quand de tels morts sont couches dans la tombe.

En vain l'oubli, nuit sombre ou va tout ce qui tombe.

Passe sur leur sepulcre ou nous nous inclinons.

Chaque jour pour eux seuls se levant plus fidele.

La gloire, aube toujours nouvelle.

Fait luire leur memoire et redore leurs noms!

«Gloire a notre France eternelle!

Gloire a ceux qui sont morts pour elle! etc.»

وهذه خلاصة وجيزة لما يرمى إليه مغزى هذى الأنشودة السامية المؤثرة من المعانى الوطنية الكبيرة التى لا تستطيع لغة غير لغتها ولا أسلوب غير أسلوبها أن يبرز أسرارها ويبين معانيها كما هى للقارئين:

«ألا إن الذين يموتون أتقياء فى سبيل الوطن ليستوجبون وفود الجماهير إليهم حافين من حول نعشهم مصلين راجين.

أن أسماءهم بين أجمل الأسماء وأجلها لأجل وأجمل.

كل مجد لا محالة زائل إذا قيس إلى مجدهم العظيم الدائم.

إن صوت الشعب بأكمله ليهزم فى قبورهم هزة حنو وانعطاف كما تهز الأم  
ولدها .

المجد لفرنسا وطننا الدائم . المجد للذين ماتوا لأجلها .

المجد لأولئك الشهداء الأبطال الأقوياء .

المجد للذين يشعلون بنار الغيرة والحمية قلوب المقتدين بهم .

المجد لأولئك الذين يريدون أن يتبوءوا مكاناً عالياً فى الهيكل المقدس .

المجد للذين سيموتون مثلهم فى سبيل الوطن .

ليرتفع البانتيون<sup>(١)</sup> السامى فى علاه فوق باريس .

مدينة الحصون العديدة . والبروج المشيدة . ملكة بلادنا التى كأنما لنا منها

التير<sup>(٢)</sup> وبابل<sup>(٣)</sup> العظيمنتان .

ليرتفع لأولئك الأموات الذين لا يزال خيالهم موضع التحية والترحيب .

لترتفع لهم أكاليل العمدان التى كلما أشرقت عليها شمس الصباح جددت

طلاءها العسجدى فزاتها نوراً وجمالاً .

« المجد لفرنسا وطننا الدائم . امجد للذين ماتوا لأجلها . . إبخ » .

(١) هو بناء عظيم أنشئ فى باريس عاصمة فرنسا وسمى باسم الشارع المظل عليه وشيد على قمة الجبل القديم المسمى سانت جينفيف « ليكون كنيسة فلما حدثت الثورة جعلوه مدفناً لكبار الرجال وكتبوا عليه « الوطن يعترف بالجميل لرجال العظماء » ثم عاد كنيسة وأخيراً رجع لدفن العظماء بمناسبة موت فكتور هوجو صاحب هذه الأشودة سنة ١٨٨٤ .

(٢) اسم مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا شهيرة بالتجارة والصناعة .

(٣) بابل عاصمة كلدانيا القديمة وهى مشهورة بالمبانى والأعمدة الفخمة وهى من أكبر المدن وأغناها فى الشرق معروفة بأسوارها الهائلة وحدائقها المرتفعة على القصبان وهى من أعاجيب العالم وكانت قائمة على نهر الفرات فلما استولى بعض الملوك عليها حول الفرات إلى جهة أخرى وذلك سنة ٥٣٨ قبل المسيح وقد بادت .

« إلا أنه حينما يمسي أمثال أولئك الأموات في مضاجعهم عبساً يحاول  
لنسيان وهو ليل حالك يغيب فيه كل ما يهبط إليه أن يمر على قبورهم التي  
تنحني إجلالاً وإعظاماً لها والتي لأجلها بشرق كل نهار وهو أسطع نوراً وأعظم  
مناً عليها.

إلا إن المجد فجر دائم متجدد يزيد ذكرهم سناً وقدرهم سناء ويحلى أسماءهم  
برونقه الذهبى الجميل.

« المجد لفرنسا وطننا الدائم. المجد للذين ماتوا لأجلها إلخ ».

\* \* \*

كذلك كان شاعر فرنسا العظيم فيكتور هوغو<sup>(١)</sup> يمجّد شهداء لوطنية  
وخدام الأمة. وكذلك يجب على الأمة أن تمجد أبناءها الذين قدموا حياتهم فداء  
للوطن وحباً فى خلاصه من أيدي الظالمين. يجب عليها أن تترنم بذكراهم وتخلد  
تاريخهم بين الصحائف والقلوب. ثم ترفع لهم تماثيل العظمة والجلال معلنة  
بذلك حبهم وإخلاصهم لبلادهم. معلية قدرهم وخطيرهم فى العالمين.

إن الحرية ليست منحة ولا هبة من ملك أو أمير بل هى حق طبيعى للشعوب  
متى دبت فيها روح الإباء والاستقلال أخذته بالقوة القاهرة من أيدي مغتصبه.  
وقدمت فى سبيله النفس والنفيس فهؤلاء الذين يحاربون أعداء الحرية بلوسائل  
النافعة وينتقمون للوطن منهم ثم ينالون الموت من يد ظالمة وهم فى سبيل  
جهادهم سائرون. أولئك الذين رضى الله والشعب عنهم ووجبت لهم الكرامة

(١) ولد هذا الشاعر الذى انتصر للحرية وإحياء ذكر شهدائها سنة ١٨٠٢ فى إحدى بلاد فرنسا يزسون وزار  
إيطاليا وإسبانيا وباريس فى طفولته وكان يقول الشعر وعمره عشر سنوات ولما كبر أقام فى باريس والنق  
بمجامعها العلمية الكبرى وسمى المدافع عن الحرية ولما جاء دور انقلاب الحكومة ترك باريس فى ٢ ديسمبر  
سنة ١٨٥١ ولم يعد إلا فى ٤ ديسمبر سنة ١٨٧٠ وبقي بها حتى توفى سنة ١٨٨٥ وكانت جنازته  
عظيمة لم يكذب يسبق لها مثال وقد دفن فى البانتيون.

الدائمة. والذكرى الخالدة. وكان على الأمة أن تتمثل في خيالهم مرحبة به  
محيية له. وعلى شعرائها أن ينهجوا منهج هذا الشاعر الكبير في تمجيدهم  
وإجلالهم.

فحيا الله فرنسا فقد أفاضت على الأمم من معين الحرية عذباً زلالاً وجاهدت  
في سبيل الوطنية جهاداً وعت القلوب ذكره، وأشرت النفوس حبه فعسى أن  
نكون على آثارها مهتمين وعلى منوال شعرائها ناسجين. حتى نغدو بنصر الله  
فائزين.. والله مع الصارين.



رسم المؤلف موسوما بتوقيعه

## طيف الوطنية

في سلام الليل حاربت المناما  
مرحبا بالزائر السارى إلى  
ليت شعرى هل رأى فى مضجعى  
وهل الدمع الذى أغرقنى  
وهل النجم الذى أرصده  
كل شىء بات حولى مغرماً  
أيها الليل ترحل أو أقم  
لست أشكو الهجر من فاتنة  
نحن صنوان<sup>(٣)</sup> قضينا حقبة  
نبصر الفيض<sup>(٤)</sup> بمصر جارياً  
ظماً قاض<sup>(٥)</sup> ونيل فائض  
وعداة ماسكوا الأمر ولم

فسلاماً أيها الطيف سلاما  
مضجع الحب يحيى المستهاما  
شبحاً يشكو إلى الله السقاما  
كان عند الطيف دمعاً أم ضراما؟  
أبصر الزائر فى عينى فهاما؟  
أينما أبصرت ألفت<sup>(١)</sup> الغراما  
فسواء كنت نوراً أم ظلاما  
تشتكى مثلى ولوعاً<sup>(٢)</sup> وهياما  
فى ربوع النيل نستندى الغماما  
بيد أن القوم يشكون الأواما  
ودمع جاريت السحب انسجاما<sup>(٧)</sup>  
يحفظوا للشعب فى حق ذماما<sup>(٨)</sup>

(١) وجدت .

(٢) أى كلفاً وميلاً شديداً .

(٣) إخوان . (٤) النيل .

(٥) حر العطش . (٦) مهلك .

(٧) أى انسكاباً وسيلاناً .

(٨) الذمام ما لا يحل انتهاكه من الحرمات .

وولاة أقسموا أن يسجدوا<sup>(١)</sup> كلما رام العدا منهم مراما  
 ربّ ماذا يصنع المصري إن جاوز الصبر مدى<sup>(٢)</sup> الصدر فقاما  
 طال يوم الظلم في مصر ولم ندر بعد اليوم للعدل مقاماً  
 هل يري المحتل أنا أمة مذ عرفنا السلم لا ندرى الخصاما  
 أو يري الظالم فينا أننا نحمل الخسف<sup>(٣)</sup> ولا نبغى انتقاما  
 زعموا زوراً فما من أمة سامها العسف<sup>(٤)</sup> ظلوم ثم داما  
 إنما الشعب الذي يرجو العلا ليس يرضى من أعاديه اهتضاما<sup>(٥)</sup>  
 كتب النصر لشعب ناهض فى سبيل المجد لا يخشى الحماما

### وطنى ينجى ربه

رب إن البلاد أرهاقها<sup>(٦)</sup> الظلم سم وحاقت<sup>(٧)</sup> بأهها البأساء<sup>(٨)</sup>  
 رب إن الصدور أخرجها<sup>(٩)</sup> الوجـ بدو أودت<sup>(١٠)</sup> بحملها الأرزاء<sup>(١١)</sup>  
 فتدارك بلطفك النيل حتى لا تجارى حياة مصر دماء

(١) يخضعوا. (٢) المدى الغاية.

(٣) أى الذل. (٤) أى الظلم.

(٥) أى ظلماً.

(٦) أى أعسرها والجأها.

(٧) أحاطت. (٨) الشدة.

(٩) أى ضيقها.

(١٠) أى ذهب به وقضى عليه.

(١١) جمع رزء وهو المصيبة.

## على لسان الأمير

قبل خروج كرومر من مصر<sup>(١)</sup>

أنا العباس لي في ملك مصر      مقام دونه مُلك العزيز<sup>(٢)</sup>  
فمالي لا أجيب نداء شعبي      وشعبي خير حرز لي حريز<sup>(٣)</sup>  
ألا إني سأمنحه مناه      من الدستور رغم الإنجليز



(١) خرج كرومر من مصر اثر مسالة دنشواى التى فضحت الاحتلال وعميده فى هذه الديار فضيحة دوى ذكرها فى العالم أجمع وسجلت العار والوحشية على المستعمرين من الإنجليز. وقد حاول هنا الطاغية ان يستر خروجه بثوب المرض الكاذب ولكنه لم يستطع وانتهك ستره وغادر مصر غير مأسوف عليه يوم الاثنين ٦ مايو سنة ١٩٠٧ بعد أن مكث بها ٢٥ عاماً تقريباً.

(٢) العزيز هو يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام والذي استولى على خزائن مصر وصرف أمورها بيد سلطانه وحكمته وجاءه إخوته مستجدين مسترحمين قال الله تعالى « فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة » « أى قليلة » فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إذ الله يجزى المتصدقين. الآية ».

(٣) الحرز الحرز الحصن الحصين.

---

## على لسان كرومر

### بعد تأليفه «مصر الحديثة»<sup>(١)</sup>

خرجت من مصر مقهوراً ومردولاً      وصح أنني تركت القصر<sup>(٢)</sup> معزولاً  
فقممت غيظاً وألفت «الكتاب» وفي      قلبي لهيب إذا ما أذكر النيل



---

(١) مصر الحديثة اسم كتاب ألفه لورد كرومر عقب خروجه من مصر وقد حشاه طعناً وقذفاً في مصر والمصريين والإسلام والمسلمين لحاء الله .  
(٢) أي قصر الدويارة .

## مصطفى كامل فى حياته ومماته

### آية الإخلاص (١)

اصدع بقولك إن أردت مقالا  
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه  
أقبل على الوطن العزيز بصارم (٢)  
وانشر به فوق الطروس (٤) حمية  
فالقوم جندك إن دعوت رجالا  
فترى به آلامها آمالا  
لا تدرك الأعداء منه كالالا (٣)  
تحكى حمية صنوه إن صالا (٥)

\* \* \*

واعمل على الرشد القويم لأمة  
حسدوك إذا أمسيت بداراً كاملاً  
ورأوك تقتحم (٦) الصعاب بهمة  
وتجادل الخصم العنيد بقوة  
جنبوا لعمرك عن طلاب حقوقهم  
يبنى سواك برشدها إضلالا  
من قبل أن يمسى سواك هلالا  
لم تدر فيما تبتغيه مالالا (٧)  
حسبوا لها بعد الجدال نزالا  
حتى بدا لهم المقال قتالا

(١) قدمت هذه القصيدة إلى فقيد الوطن المرحوم مصطفى كامل باشا عقب خطبته الأخيرة بالإسكندرية التي كون فيها الحزب الوطنى وأعلن مبادئه العشرة فى مساء الثلاثاء ١٥ رمضان سنة ١٣٢٥ - ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ وهى أول قصيدة نظمها فى القاهرة وذكرت فيها شيئاً عن الحركة الوطنية. وقد التحقت عقبها بالحزب الوطنى واعتبرت من أعضائه العاملين فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٧ .

(٢) أى بالبراع الشبيه بالسيف الصارم.

(٣) أى ضعفا وإعياء. (٤) الصحائف.

(٥) صنو البراع الحسام.

(٦) أى ترمى بنفسك وتدخلها فى الشدائد والصعاب. (٧) ساما.

هذى سبيلهم التي أولتهمو<sup>(١)</sup> باعوا المواطن بالمأرب وانثنوا  
 والمال يذهب بالنفوس مذهباً حسبوا الحمى عرضاً من الأعراض أو  
 جعلوا «المعية» عرضة لسهامهم والله يعلم أنها ما أدركت  
 فاصبر فسوف يذيقهم بأس الحمى واهناً ولاق النائبات بعزيمة  
 أنت الرئيس إذا أردت رأساً فانشر به علم السلام مجاهداً  
 واهزم بنى التاميز<sup>(٤)</sup> أين لقيتهم ودع «الدخيل»<sup>(٦)</sup> مع الذين دعاهمو  
 واعلم وأنت بهم عليهم أنهم ذل النفوس فسالموا الإذلالا  
 فى كل قول ينشدون نوالا<sup>(٢)</sup> تبين الأخيار والأنذالا  
 غرضاً من الأغراض أسوأ حالاً فتقولت رقبازها الأقوالا  
 من ودهم إلا الظنون منالا - إن أضمرنا - هذا العداء وبالا  
 لا تنثنى أو تصدع الأجبالا<sup>(٣)</sup> والقطر حزبك يمنا وشمالا  
 حتى ترد لمصر مجدداً زالا واشهر حساماً لا يمل نضالا<sup>(٥)</sup>  
 عقلاء مصر وأولهم إهمالا لم يبلغوا إلا السقوط مآلا

(١) أي أعظمتهم.

(٢) عطاء.

(٣) أي تشقق الجبل.

(٤) التاميز أعظم أنهار إنجلترا يمر ببلدة اكسفورد الشهيرة بجامعةها ثم بلندن عاصمة بلاد إنجلترا.

(٥) أي دفاعاً.

(٦) أطلقت كلمة الدخلاء في مصر علي جماعة الغرباء الذين جاءوا إليها لا يملكون غير الأرض وطاء والسماء غطاء فأكرمت منوهم وأفاضت بركتها عليهم فأصبحوا ينعمتوا من المترفين المثريين ولكنهم جحدوا فضلها وحالفوا أعداءها عليها وحاربوا أهلها الكرام حرباً عناناً فاستوجبوا كراهة الأمة وباءوا بسخطها عليهم وهو إطلاق لا يتفق تماماً مع المعنى للغوي ولا يؤدي الغرض المراد من التحقير والأولي أن يستعمل لفظ واغل مكان دخيل فإن الواغل هو الذي يدخل علي القوم في شرابهم فيشرب معهم من تلقاء نفسه ولذلك يكدر صفاءهم.

---

وكذاك من خان البلاد فإنه  
هذا شعور ضقت عن كتمانته  
ورجوت أن أغدو لحزبك ناصراً  
فادأب على إنهاء امتك التي  
سينال بين العالمين نكالا<sup>(١)</sup>  
ذرعاً<sup>(٢)</sup> فبحت ولا أهاب جدالاً<sup>(٣)</sup>  
يغتال من خصمائه الآجالا  
ترجو وراء خطاك الاستقلالاً



---

(١) أي سيكون خائن البلاد عمرة لغيره .

(٢) أي لم أقو علي كتمانته ولم أطقه .

(٣) أول مراتب الشجاعة الأدبية الجهر بالحق وعدم المبالاة بمعارضه المعارضين وجدالهم فيه .

## آية الأسف (١)

حامى الأوطان روعت الحمى  
نحن لم نعهدك إلا باسلا  
كيف تنأى اليوم عنا راحلا  
من لمصر بعد ذلك النأى إن  
ومن الآن وقد حم<sup>(٢)</sup> القضا  
كنت الداء دواء كلما  
فانهض اليوم وأوجد أنفسا  
إن مصر اليوم تكلى دمعها  
يا حياة النيل جف النيل من  
يا فقيد الشرق ضلت أمة  
يا خطيباً خطبه بمد القوى  
إن يوماً كنت فيه ناطقاً  
حينما أمسيت عنه محجماً  
إن دهانا الخطب كنت المقدما  
بينما خطب البلاد احتدما  
أصبحت تشكو الضنا والسقما  
يفتدينا إن خشينا العدم  
هيج الداء العنا والألما  
أوشكت بين الجوى أن تعدما  
مازج النيل فأجراه دما  
وهج<sup>(٣)</sup> الوجد وأسقانا الظما  
كنت تهديها الصراط الأقوما  
بعد ما كنت بناء محكما  
كانت الألسن تخشى الكلما

(١) أدركنى نبأ وفاة فقيد الوطن المغفور له مصطفى كامل باشا وكنت إذ ذاك قد عدت إلى دمياط زائراً فأعلنت الأسف العام في المدينة ونظمت هذه المرثاة ولقيتها في محفل حافل بجامعة البحر بعد صلاة يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٣٢٦ وشاطرنى التابين كثير من الأدباء أما هذا الفقيد العظيم فقد ولد ليلة الجمعة ٢ رجب سنة ١٢٩١ وتوفى عصر يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٢٦ وشاطرنى التابين كثير من الأدباء، أما هذا الفقيد العظيم فقد ولد ليل الاثنين ٢ رجب سنة ١٢٩١ وتوفى عصر يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٢٦ ودفن في اليوم التالي واحتفلت الأمة بجنائزه احتفالاً لم يعرف له نظير من قبل في مصر رحمه الله ورضى عنه.

(٢) حم وأحم بالبناء للمجهول بمعنى قدر وحتم فهو محموم.

(٣) الوهج بفتححتين حر النار.

فعلام اليوم تغدو صامتاً  
 أنت علمت البلاد القول إن  
 أنت أوجدت الشعور الحى فى  
 أنت أعربت لنا عن مبدئ  
 ونشرت العدل والنور وقد  
 لم نزل تسمى مجد خالد  
 فبلغت المجد حتى أصبحت  
 إن تقل فى تلك أو فى هذه  
 وإذا أبديت رأياً بينها  
 شهرة فى الخافقين انبعثت  
 وثبات لا ينسى (٣) أو ينشئ (٤)  
 إن تاريخك يحيا خالداً

\*\*\*

فلتنح مصر وأهلوها على  
 أيها الموت اتند نحو الصبا  
 إن هذا الغصن فى روض المنى  
 كيف لم تمهله يا موت ولم  
 ذلك المجد الذى قد هدمنا  
 وإذا شئت فواف الهرما  
 ينفح القطر الندى والكرما  
 ترع هاتيك العلا والشيمما؟

\*\*\*

يا رئيس الحزب إنى مخلص  
 مثلما تعهد أرعى الذمما

(١) الظلم بتشديد الظاء المضمومة جمع ظلمة أى ظلام.

(٢) بعد.

(٣) يضعف.

(٤) يضعف.

(٥) أى الحكم الذى لا مرد له.

إننى أبكى بقلب آسف  
 ولو اسطعت لكنت الأمس فى  
 أنظر النعش وقد حفت به  
 وأرى القوم وقد نادى بهم  
 مشهد أدهش من أبصره  
 أيقنت فيه نفوس أبصرت  
 إنما الدنيا غرور باطل  
 يا بنى الدنيا كفاكم واعظا  
 هزم الأيام عند الملتقى

\* \* \*

إننى أرثيك يا خير فتى  
 وبودى لو فدتك النفس يا  
 لك نفسى لو يشاء الموت أن  
 حكم الله ولا حول ولا  
 فم الآن هنيئا بعد ما  
 رحم الله صباك الغض يا  
 عبس الشرق له وابتسما  
 خير أبناء البلاد الأكرما  
 يدع الغنم ويرضى المغرما  
 وله ما يرتضى أن يحكما  
 عشت يقظان وعشنا نوما  
 روح مصر وحباك النعما

- (١) الماتم عند العرب نساء يجتمعن فى الخير والشر وقد اطلقتها العامة علي ما يقام من حفلات الاموات والصواب تسميتها بالمناحات فيقال كنا فى مناحة فلان لاه فى ماتمه .
- (٢) انهل المطر سال بشدة أي إننى كنت أبكى دماً بعد فناء الدموع .
- (٣) كان نعش الفقيد ملفوفاً بالعلم المصري الكريم .
- (٤) أي شجاعاً كانه الأسد العظيم .
- (٥) الحتف : الموت .

## الدستور العثماني<sup>(١)</sup>

### إلى أمير المؤمنين

أمير المؤمنين مضت قلوب  
تؤمل أن تراك لها معيناً  
رأتك أمامها الأمل المرجى  
فيا أمل القلوب إليك مصر  
تحن إليك يارب المعالي  
رمتها الحادثات بشر قوم  
قضت في عصرهم مصر ولولا  
فأعززيا حمى الإسلام شعبا  
منحت الدولة الدستور عدلاً  
فما للنيل ليس له نصيب  
أيمنعنا بنو التاميز حقا  
لعمرك إن في مصر أميراً  
وإن رضاك غاية ما يرجى  
فمره يمنح الدستور مصرا  
وما العباس إلا خير وال  
يسير كما تشاء وأنت فيما

إليك يحشها الحب الكمين  
وأنت على الدهر المعين  
وفيك لدائها البرء المبين  
تشير وبين جنبها حنين  
وقد حلت بساحتها الشجون  
لهم في كل مظلمة شئون  
رجاء فيك ما قرت عيون  
بعزك لا بذل ولا يهون  
فخابت من أعاديها الظنون  
من الدستور وهو به قمين<sup>(٢)</sup>  
وأنت أمامنا الملك الأمين!  
نراه ليس يحمل ما يشين  
وحبك عنده الكنز الثمين  
فإن لأمرك الباغي يدين<sup>(٣)</sup>  
له في ملكك الشرف المكين  
تشاء مليكنا الحصن الحصين

(١) أعلن الدستور العثماني رسمياً يوم ٢٤ يولييه سنة ١٩٠٨

(٢) أي حقيق وجدير.

(٣) أي أن الظالم يخضع لامرك فمن الأولى خضوع غيره.

## إلى فريد بك رئيس الحزب الوطني<sup>(١)</sup>

عاد للنيل فتاه  
أسعد القطر لقاه  
جواب<sup>(٢)</sup> اوربا ونادي  
شاكياً أعمال قوم  
بأيديه العميمه  
ورعي الله قدومه  
أم الغرب الحكيمه  
حسبوا مصر غنيمه  
بيد القهر الأنيمه  
جلبسوا الشر إلينا

\* \* \*

أمة المحتل أضحت  
سلبت حق الأهالي  
لم يكن للعدل فيها  
إنهـا أمة بطش  
وهي في مصر ظلومه  
وسبت حق الحكومه  
مستقر فنرومه  
وهي للحق خصيمه  
إصلاحها العقبي الوخيمه  
تدعي تلك اللئيمه  
استبـدت وادعت  
كذبت والله فيما

\* \* \*

يا رئيس الحزب حارب  
ولك الشعب نصير  
إنما أنت إمام  
لك حـزب لا يمارى<sup>(٣)</sup>  
بالحجا أهل الذميه  
في الملمات الجسيمه  
ذو سبيل مستقيمه  
في مباديه القويمه

(١) قدمت هذه الأبيات في أول اغسطس سنة ٩٠٨ إلى فريد بك بعد سفره وعودته من أوروبا وهي أول

رحلة له بعد وفاة رئيس الحزب الأول مصطفى كامل رحمه الله.

(٢) أي تجول فيها وقطعها.

(٣) أي أن مبادئه قويمه لا جدال فيها.

ومعـاذ الله أن تغـ  
نقضوا العهد ومانوا<sup>(٢)</sup>  
أخفقوا سعياً فعادوا  
وادعوا فينا اعتدالاً  
كيف يرجون منالا  
وهمـون إن طاب يوم  
بدو كأصحاب الوليمه<sup>(١)</sup>  
وجنوا شر جريره  
ومساعيتهم عقيمه  
واستعانوا بالشتيمه  
من أشداء الشكيمه<sup>(٣)</sup>  
حرموا النيل نسيمه؟

\* \* \*

أيها القائد جاهد  
واذكر التاريخ مهما  
باد<sup>(٤)</sup> مجد القطر فابعث  
إن آمالا كـباراً  
فارعها وابق ملاذا  
وأعد مصر القديمه  
كانت الذكرى أليمه  
روحه واحي رميمه  
فيك أضحت مستهيمه  
لبني مصر الكريمه



(١) هم جماعة من المعتدلين ذهبوا إلي لو ندره والقوا خطباً في وليمة بين جماعة من الإنجليز ونوابهم استوجبت سحق الوطنيين في مصر وحمل عليها لاجلها «اللاء» في عهد المرحوم مصطفى كامل حملات شديدة.

(٢) كذبوا.

(٣) إذ فو الانفة والكبر والاباء وهم الإنجليز الغاصبون الطامعون.

(٤) أي ذهب وفني.

## الدستور

### وحديث شاعر الأمير<sup>(١)</sup>

يا شاعر الأمراء ويحك هل ترى  
إني رأيتك في حديثك شاعرا  
أبدعت في هذا الحديث فلم يجئ  
وأسأت للبلد الأمين وأنها  
وعكست آمال العباد وأنهم  
هل يرتجى العباس إلا رحمة  
أو ينبغى في مصر إلا أن يرى  
يا شاعر النيل العظيم أما ترى  
ما كنت أحسب أن مثلك وهو في  
يجنى على الشعب الكريم جناية  
ياليت شعري هل رأيت كما أرى  
فنشرت فيه ما نشرت وإنما  
أو أنت تروى عن سواك حديثه

في النثر ما في النظم من خطرات؟  
لكن خيالك زائع النظرات  
أحد سواك بهذه الكلمات  
لكبيرة من كاتب الحسنات  
أولى بذيل العطف والرحمات  
للناس بعد شذائد الويلات؟  
شعبا يجد لأشرف الغايات؟  
للنيل ألا أسوأ الحالات  
شعراء مصر صاحب الآيات  
ويود أن يبقى مع الأموات  
أن المؤيد معهد الهفوات  
هي زلة من أكبر الزلات  
كيما نرى الدستور ليس بآت

(١) نشر المؤيد حديثاً جرى بين نثبه بالإسكندرية وشاعر الأمير أحمد بك شوقي يتضمن أن سمو الخديو لا يستطيع منح الدستور بغير إرادة المحتلين ورضائهم ويؤيد مذهب اليأس والقنوط والشك في اهلية الأمة وكفاءتها وكان ذلك في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨ بينما كانت عرائض طلب الدستور ترى على سمو الأمير في ذلك الحين من كل صوب وللحزب الوطني وحده من هذه الطلبات ما يناهز الخمسين ألف طلب. وقد تناولت الصحف الوطنية هذا الحديث بما يستحقه من الرد والتقرير أما هذه الأبيات فقد نشرت بجريدة الدستور يوم الأربعاء ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٦ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٠٨.

والله يعلم أننا لا ننثنى يوماً  
حتى نفوز بنيله رغم العدا  
ونصدهم عنه إذا راموا به  
وجيوشنا هي قوة سلمية  
فعليك إصلاح الحديث فإنه  
ولا نلهو عن الطلبات  
ونبه العزمات للهجمات  
سوءاً وقاموا دونه عقبات  
تبدى مطالبها بكل ثبات  
عندى أشد أذى من «الفلتات»<sup>(١)</sup>



(١) هي فلتات أحمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار فقد حدثوا عن حضرته أنه خطب خطبة بالإسكندرية يودع فيها طلبة إرسالية الجامعة المصرية قبل هذا الحديث بأيام وعرض قليلاً بالحزب الوطني تعريضاً دعاء إليه الجناس بين كلمتي «حزب وخزي» ثم اعتذر أنها فلتة لسان وشاعت حينئذ بعض فلتات من هذا القبيل، وربما كان مكذوباً عليه أو كان له عذر مقبول مما عزي إليه.

## رب ذكرى هيجت شجنا<sup>(١)</sup>

جددت ذكرى الفقيد المبرور ألم النفوس المستكن وهاجت بكل جانحة من الأشجان لاعجة لا يخبو لها سعيير ولا يهدأ زفير وإني لأذكر يوم كنت بدمياط فى العام الغابر وقد دهمنى خطب الفقيد العظيم فأقمت حفلات التأبين الجامعة وأديت من الفروض الوطنية بعض ما يجب لفقيد الشرق والإسلام واشترك خطباء المساجد يوم الجمعة وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء الكرام فى قضاء هذا الحق الوطنى المقدس . وكان الكل مدفوعاً بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطن والوطنية . أما المدامع ولأقلام فى مصر فقد تسابقت فى ذلك اليوم العصيب بكاء ورتاء، ولقد جاء يوم الذكرى فحار دمعى بين الشئون والجفون كما حار يراعى بين المداد والقرطاس فإذا ما شاركت اليوم الأمة فى شعورها الشريف بكلمات من الشعر صادرة عن فؤاد محزون فإننى لا أزال أرانى مع هذا بعيداً عما أريد من التعبير والبيان فى هذا الموقف العظيم .

\* \* \*

وقد اقتفيت فى قصيدتى هذه طريقة جديدة . هى جعل القصيدة قطعاً كل قطعة ذات روى خاص . وبذلك تسهل على الشاعر بعض الصعاب إلى يصادفها فى سبيل القافية والتزام الروى فى جميع القصيدة وهى طريقة وسطى بين طريقة الشعر المرسل والطريقة القديمة .

(١) هذا ملخص ما نشر باللواء الصادر يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٢٧ و١٤ فبراير سنة ١٩٠٩ بمناسبة ذكرى المرحوم مصطفى كامل بعد سنة من وفاته وقد جعلت هذه الذكرى يوم ١١ فبراير من كل عام وهو اليوم الذى دفن فيه رحمه الله تعالى .

وقد اخترت أن تكون القطعة سبعة أبيات اتباعاً لاصطلاح علماء العروض المعتمد في أن القصيدة سبعة أبيات فصاعداً من بحر وضرب وروي واحد . وبهذا يصح أن تكون كل قطعة قصيدة قائمة بذاتها وإن شئت فهي قصائد متعددة في قصيدة واحدة فعسى أن يروق ذلك لشعرائنا فيقدموا على القريض ليكون صغيرهم بعد إحجامه وضعفه شاعراً مقداماً قادراً . ويتسنى لكبيرهم أن يتحدى شعراء أوروبا وبياربيهم في الشؤون الاجتماعية العصرية فيصبح له في كل معنى قول ماثور وأثر مشكور<sup>(١)</sup>.

عجباً للقريض كيف عصاني      ولدمع دعوته فتناهى<sup>(١)</sup>  
كنت يوم الرفاة أول باك      نظم الدمع والقريض رثاء  
وملأت الربوع في ثغر دميا      ط أسى فائضاً أفاض البكاء  
ثم نادبت آملاً نهضة القو      م فلاقى النداء منهم نداء  
وقضينا من الصلاة فروضاً      ومن الآي المحكمات دعاء  
وبكيننا الفقيد فانهزم الصبر ولم تدرك النفوس عزاء  
وذكرت «اللواء» فانتظمت من      أدمعي أسطر تعزي اللواء

\* \* \*

(١) حدثت حضرة الشاعر الكبير حافظ أفندي إبراهيم في هذا النهج من الشعر فاستحسنه قبل أن أبداً بسلوكه في هذه القصيدة . ووعد بالسرفيه ثم حدثت أخيراً سعادة إسماعيل باشا صبري في ذلك فاستحسن أن يكون الشعر بيتين ووعد باتباع هذه الطريقة في نظمه . ولكني لم أر لسعاده بعد ذلك إلا قصيدة في رثاء بطرس باشا غالي ، أتبع فيها الطريقة القديمة ونشرها علي غير انتظار . . كما أن حافظاً لم يف بوعده . ولا أدري لماذا لا نهذب طرق الشعر العربي حتي يجاري شعراؤنا شعراء الأمم الراقية ولا يكون لشكواهم من صعوبة الطريقة القديمة وجه حسن ولا لإحجامهم عن الوطنيات والاجتماعيات عذر مقبول ؟

(٢) حركة الروي في هذه القطعة مخالفة لحركته في باقي القطع وقد هذبت هذه الطريقة فيما نظمت منها بعد فجعلت حركات الروي في جميع القطع متفقة .

جف بالأمس مدمعى ومدادى؟  
جسدت رزاه بكل فؤاد  
وحشاه من وجدته فى اتقاد  
لذكرى حياة محبى البلاد  
رإلى القبر حيث مشوى الرشاد  
ر فأمسى أبناؤها فى حداد  
كيف أقضى من البيان مرادى؟

\* \* \*

أملى نشؤها العظيم الرجاء  
ذكر حامى الحمى شهيد الوفاء  
يوم تفنى مآثر الأمراء  
أبد الدهر مستجد البناء  
بك تسمو إلى ذرى الجوزاء  
ذكره فهو سنة الارتقاء  
وقفى وقفة المدانى المنائى (١)

\* \* \*

صامت القول ناطق الأفعال  
بسناه وجه النى والمعالى  
وتفوز البلاد بالآمال  
ر ويمضى اللئيم بالإذلال

ليت شعرى ماذا دهانى حتى  
إن ذكرى الفقيد بعد ربيع  
فاغتنى هذا ينثر الدمع وجدا  
وغدا ذاك ينظم الشعر أحيا  
ومضى الموكب المهيب من الدا  
وبدت آية الحداة على مصر  
وأرانى فى دهشة لست أدرى

أدهشتنى حياة مصر وأحيا  
عرفت واجب الوفاء وأحيت  
وأقامت له مآثر تبقى  
واحتله فى القلوب مكاناً  
إيه يا مصر إن هذى حياة  
فاقتفى منهج الفقيد وأحى  
وأعدى ما شئت من عزامات

مصر أنى أرى تمامك يوماً  
أقتم الصدر أنور القلب (٢) يحلو  
فيه نحظى بماله نتمنى  
ويعز الكريم فى ساحة النص

(٢) أي مظلم أوله منير سائره .

(١) أي المهاجم والمدافع .

فاهنئ أيها الكنانة<sup>(١)</sup> إني  
وأري هذه الشبيبة درعا  
إنما النشاء مأمّل الوطن المر  
أنظر اليوم داني الآجال<sup>(٢)</sup>  
لك فاستبقها للاستقبال  
جو عند الغدو والآصال<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

أيها النيل هل تعود سعيداً  
أيها النيل أن قومك يشكو  
أيها النيل هل رأيت ولياً  
أيها النيل هل جرّيت دماء  
بعث الشعب للحياة وأودى<sup>(٥)</sup>  
إن عاماً مضى عليه إمام  
فترحم عليه يا نيل واذكر  
ويجود الزمان بالحسنات  
ن إلى غير شاعر بشكاة<sup>(٤)</sup>  
يستلي قومه بلاء العداة  
بعد هذا على فتى المكرمات  
فنهضنا نريد معنى الحياة  
مستفيض الأيام بالحسرات  
عند ذكره كل ما هو آت



(١) الكنانة لغة وعاء السهام وقد سميت بها مصر وروي «مصر كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله - أي كسره وأهلكه -».

(٢) أي أن هذا اليوم قريب المدد يوشك أن يشرق فجره.

(٣) الغدو ضد الرواح وهو من أول النهار إلي الزوال والرواح من الزوال إلي الليل. والآصال جمع أصيل وهو من بعد العصر إلي المغرب.

(٤) الشكاة بفتح الشين الشكوي.

(٥) أي مضى وقضى.

## مسألة الأزهر

### يا حماة الدين ويحكمو<sup>(١)</sup>

يا حماة الدين ويحكمو  
إن بيت الله محترم  
تطأ النعل مساجده  
ويذل العلم في ملبلا  
ويثور الجند بينهمو  
ضارياً من شاء مقتفياً  
وولاية الأمر همهمو  
ودعوا الدين الذي قبرا  
كيف بات الآن محتقرا  
وعيون المسلمين ترى  
حفظوا القرآن والأثرا  
آمرا بالسوء مؤتمرا  
بأذاه من به عثرا  
إن بيت العدل منتحرا

\* \* \*

أندب الأزهر مكتئبا  
نهضوا يسترحمون فلم  
واستبسد الظالمون بهم  
واستباحوا هتك حرمتهم  
فاستقاموا في سبيلهمو  
وتلقوا كل مرزاة<sup>(٢)</sup>  
وأعزى فسيه من نكبا  
يدركوا من أمرهم أريا  
وأقاموا دونهم حجبا  
كلما أبدوا لهم طلبا  
لم ينوا عن عزمهم رهبا  
بقلوب تصدع النوبا

(١) نشرت باللواء يوم الجمعة ٢٩ محرم سنة ١٣٢٧ - ١٩ فبراير سنة ١٩٠٩ بمناسبة الحركة الأزهرية في ذلك العام واعتصاب الأزهريين حتى تجاب مطالبهم العادلة التي كانوا وعدوا بالنظر فيها وعادوا إلى دروسهم ثم رجعوا إلى اعتصابهم في هذا العام أيضاً حتى تجب هذه المطالب وقد نال الأزهر والأزهريين في المرة الأولى من الإهانة والظلم بعض ما أشارت إليه هذه القصيدة .  
(٢) مصيبة .

واستقال الشيخ<sup>(١)</sup> فاضطربوا واغتدى الأزهر مضطربا

\*\*\*

خلق الظلم لهم رجلا<sup>(٢)</sup> حارب العدل ومن عدلا  
عشق الجلد وعدته ففدا الجلد له عملا  
ودعا الجند لنصرته كى يرى الأزهر مقتتلا  
فاستحلوا مسجداً حرماً واستجازوا الحادث الجللا  
وأذاقوا الطالبين أذى بعصى أدنت الأجللا  
ثم نادوا حكماً<sup>(٣)</sup> ورأوا أن هذا يقطع الأملا  
ولعمري إنه أمل لا يزال الدهر متصلا

\*\*\*

ياولاة الأمر ويلكمو يادركوا الأمر الذى عظما  
أصبح الأزهر معتركا وأراكم تطلبون دما  
ليت شعري هل جنى أحد يشتكى الظلم لمن ظلما  
فاعدلوا فى القوم انهمو يشتكون الضيم والألما  
واعلموا لله صالحا وذروا<sup>(٤)</sup> العباس محتكما  
واحذروا يوماً ترون به إن أبيتم ذلك الندما  
يوم لا تغنى جنودكمو عنكمو إن حادث دهما<sup>(٥)</sup>

(١) هى فضيلة الشيخ حسونة النواوى الذى استقال من مشيخة الأزهر حينما رأى ما رأى من احقبة مطالب

الأزهريين وإهمال ولاة الار لها بعد أن وعدهم هو بإجابتها .

(٢) هو خليل باشا وحمادة الذى كان مديراً للأوقاف وأقيل منها عقب ما ظهر من استبداده بالطلبة

واستعماله القسوة المتناهية معهم وسخط الأمة ناسرها عليه .

(٣) أى جاءوا بمحقق من النيابة إرهاباً للطلبة وتنكيلاً بهم .

(٤) أى حل وغشى .

(٥) دعوا واتركوا .

## قانون المطبوعات (١)

لئن قيّدوا مني اليراع وأوثقوا      لساني فقلبي كيفما شئت ينطق  
فلا يأمنوا تلك القلوب فإنها      دماء أراها أو شكت تتدفق



(١) صدر قرار الوزارة البطرسية يوم الخميس ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ بإعادة قانون المطبوعات الذي سن زمن الثورة العرابية وطوته الأيام بعد ذلك حتي أصبح عدما. وقد نظمت هذين البيتين عند ما أصبح من المقرر صدور هذا القرار المشعور فلما صدر نظمت القصيدة التالية ونشر كل ذلك في «الراء».

## إلى سمو الأمير

### والوزارة والأمة (١)

أعباس هذا آخر العهد بيننا      فلا تخش منا بعد ذاك عتاباً (٢)  
أيرضيك فينا أن نكون أذلة      ننال إذا رمنا الحياة عقاباً  
ونياس من آمالنا فيك كلما      قضيت علينا أن نكون غضاباً  
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها      وأصليتنا بعد «الرفاق» عذاباً (٣)  
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى      ولا تستمع للظالمين خطاباً  
فما يبتغي غورست إلا مكيدة      تحول أقلام السلام حراباً  
وها قد رمى حرية القول رمية      بسهمك تجنى للبلاد خراباً

\* \* \*

ألا أمطر الله الوزارة نقمة      ولا بلغت مما تروم مراماً  
تحاول أن تقضي علينا باثمها      ولكن ستلقى دون ذاك أثاماً (٤)

(١) نشرت هذه القصيدة تحت هذا العنوان باللواء الصادر يوم السبت ٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ - ٢٧ مارس سنة ١٩٠٩ وهي ثلاث قطع واحدة لسمو الأمير وأخرى للوزارة السابقة والثالثة للامة أيدها الله بنصره.

(٢) الصحافة خير واسطة لحسن التفاهم بين الامة والحكومة وهي لسان شكر وعتاب ينطق بما يمكنه فؤاد الشعب منهما. فهو عند عدل الحكومة وإحسانها شاكر مادح وعند غير ذلك معاتب لائم ولا ريب أن سمو الأمير هو رأس الحكومة الأكبر وأولى من يوجه إليه أمل الامة والمها. وقد جاء قانون المطبوعات قاطعاً هذا اللسان حائلاً بين الأمير وشعبه لذلك كان يوم إرجاع هذا القانون هو آخر العهد بيننا وبين سموه وقاطع حبل المودة والعتاب الذي أصبح أمره بيد الانفة بعد الالسنه على أن هذه الابيات الموجهة إلى سموه هي في الحقيقة عتاب على قطع العتاب الذي نعتبر أنه كان موجهاً إليه خاصة لأننا لا نعرف لنا حاكماً شرعياً سواه.

(٣) أي بعد سياسة الوفاق التي أتى بها غورست بعد سياسة الخلاف التي ذهب بها كرومر على أنه لا خير لنا في سياسة ما مع الاحتلال.

(٤) الأثام يفتح الهمزة جزاء الاثم أي الذنب.

وزارة خداع أقامته بينا  
وبين يديه عصبة بطرسية<sup>(٢)</sup>  
جنى ما جنى فى ننشواى وغيرها  
فقيد أقلام الصحافة عليها  
سلام على عهد الوزارة<sup>(٣)</sup> قبله  
بنى مصر بشرى فالرجاء محقق  
وهذا يراعى فليقيد فإنما  
سأطلقه يجرى كما شاء حده  
فلا تياسوا فالياس مجلبة الردى<sup>(٥)</sup>  
ولا تفزعوا من حكم أو حكومة  
وسيروا إلى ما تملون بحكمة  
فإنى لحت النصر بين صفوفكم

يد الحاكمين الآثمين فقاما<sup>(١)</sup>  
تصوب نحو المصلحين سهامها  
ولم يكفه حتى استحل حراما  
إذا أبصرت سوءاته تتعامى  
وإن كان عهداً لا يبيح سلاما  
ومن عدم الأقوال رام فعلا  
لدى يراع لا يهاب نضالا<sup>(٤)</sup>  
ومن شاء فليقطع عليه مجالاً  
وشدوا إلى نيل الرجاء رحالا  
ترى نشر آمال العباد ضلالا  
ولا تحسبوا الفور المبين محالا  
وأبصرت عقبى الظالمين وبالا



(١) الحاكمون الآثمون هم الإعليز المغتصبون ؛ قد كان تعيين بطرس باشا غالى رئيساً للوزارة بمحض إرادتهم فهم الذين أقاموا رئيساً للقطار وأصدروا أمرهم من لندره بذلك كما رواه «المقطم» حين ذلك وهو لسانهم الصادق . قطعه الله .

(٢) أي منتسبة إليه وإن كان عملها فى الحقيقة عائد عليه .

(٣) هي الوزارة الفهمية التي انقضى عهدها غير مأمرف عليه كما انقضى عهد هذه الوزارة .

(٤) هو القلب الناطق كيفما شاء صاحبه .

(٥) أي أن اليأس باعث الهلاك وجالبه ومن يمس فقد جهل معنى الحياة وفقد شخصية الأحياء، ولا سبيل إلى نهضة الأمة وحياتها إلا بمخالفة الأمل ومحاربة اليأس ومن ماثورات فقيد الوطن المحروم مصطفى كامل قوله : « لا معنى للحياة مع اليأس . ولا معنى لليأس مع الحياة » .

## فتنة الأستانة (١)

لم يدرك السلطان فى قصره  
ولم يهب من دهره سطوة  
جارية الدهر على غرة (٢)  
وأبصر الموت به محققاً  
ومدت الأيدى إلى عرشه  
وأدخل السجن ليقضى به  
فهان ما أكبر من عزه  
ما أدرك العسكر من أمره (٣)  
حتى دهاه الخطب من دهره  
وضاقت الأقدار عن نصره  
من بره يسعى ومن بحرته (٤)  
وأوشكت تمتد فى نحره  
آخر ما أبقاه من عمره  
وذل ما أكثر من كبره

\*\*\*

لله ما أوفى الجنود التى قصت على الظالم فى ظلمه

(١) حدثت هذه الفتنة الكبرى فى ١٣ أبريل سنة ١٩٠٩ ومكثت الأستانة معتركا هائلا بين أنصار الحكم المطلق وجنود الدستور البواسل نصف شهر تقريبا. وكانت العافية للدستوريين الأحرار. وقد اندحر الرجعيون وأشباع التقهقر ونالهم الخزي والخذلان يخلع السلطان عبدالحميد الذى كان حاكما بأمره مطلق التصرف فى أموال العباد وأرواحهم وقد بلغ نيا الخلع فى فجر يوم الثلاثاء ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ ونودى بأخيه ولى العهد «رشاد أفندى» سلطانا باسم «محمد الخامس» وقد غادر عبدالحميد سراى يلديز فى منتصف الليلة التالية لخلعه وركب القطار إلى سلونيك حيث يقضى بقية أيامه بها تحت المراقبة فى أحد قصورها وتقرر جعل يلديز متنزها عاما للأهالى واسكن السلطان الجديد سراى ضوولة بغجة ولله الملك وبيده الامر وهو العزيز القهار.

(٢) حاصرت جنود الدستور يلديز أياما ومنعت الزاد عن أهلها حتى ألقت حاميتها السلاح وصدر قرار الخلع فاستشعر السلطان بدنو الساعة فاخترقى فى آخر غرفة من غرف الحریم ولكن النذير وصل إلى مقره وأبلغه حكم الله والامة عليه وهو يرتجف ارتجافا ويتوسل إلى مبلغيه أن يحقنوا دمه فما أشد هول الانتقام.  
(٣) غفلة.

(٤) أى أن الجيوش الدستورية كانت تحمق وتحيط به برأ وبحراً حذراً من هربه وكان للأسطول العثمانى فى البحر ما للفيالق البرية من العناية بحفظ الدستور والأثمار بأمر الشعب.

وقيدت عبدالحميد الذي  
ولم يخل<sup>(١)</sup> يومه يلاقي به  
فليت شعري ما رأى عندما  
وبات في قصر سلونيك<sup>(٢)</sup> لا  
وأيقظ الله الأمير الذي  
فبات سلطاناً له دولة  
كم جار بالإطلاق في قومه  
جزاء ما قدم في يومه  
أسلمه الدهر إلى خصمه  
يرجو من القصر سوى سلمه<sup>(٣)</sup>  
قضى نشاط العمر في نومه<sup>(٤)</sup>  
سلطانها الدستور في حكمه<sup>(٥)</sup>



(١) يحسب ويظن .

(٢) سلونيك الشجر الثاني في تركيا وهذا القصر الذي أنزل فيه السلطان المخلوع هو المسمى « قصر اللاتيني » وكان يسكنه إلي حين إرساله إليه قائد أجنبي يسمى « الجنرال كونت دي روبلانت » وهو منظم الجندرية في ذلك الحين .

(٣) لأنه أصبح كما يقولون قلقاً جداً علي حياته لا يحسب لغيرها حساباً .

(٤) هو الأمير رشاد أفندي الذي كان ولياً لعهد وبقي رهين قصره مدة حكم عبدالحميد حتى أفني نشاط العمر بين جدراناه . وقد روى اللواء الصادر في ٦ مايو سنة ١٩٠٩ ان مدة حكم عبدالحميد بالضبط هي ٣٢ عاماً و٧ اشهر و٢٧ يوماً و٤٥ دقيقة .

(٥) الملك في الحكومة الدستورية ليس له في الامر سوى التوقيع علي ما تريده الأمة ومتى كانت الحكومة أهلية تعمل علي رضاء الأمة وتسير بإرادتها فلا غرو إذا أصبح الامر كله من الأمة وإليها وكان الملك اشبه بممثل شرفي للدولة وواسطة لعقد نظامها .

## إلى دنجرا<sup>(١)</sup> قبل الإعدام

هنيئاً فقيد الهند نلت مدى المجد  
همو حكموا بالموت وهو محبب  
وقدمت نفساً «للفداء» كبيرة  
وسرك أن تقضى الحياة مجاهداً  
شجاعة مقدام يجود بنفسه  
وقوة ليث دونها كل قوة  
ألا في سبيل الله موت مجاهد  
يموت ولكن لا يموت جهاده

وخلدك التاريخ في مصر والهند  
إليك فحييت القضا معلى الحمد  
لتبعث وجدا في النفوس على وجد  
وأبديت في التحقيق ما لم تكن تبدى  
على الوطن المأمول في القرب والبعد  
تروح إلى رشد وتغدو على رشد  
يذود عن الأوطان في المهدي واللحد  
وعما قريب تصبح الهند للهندي

(١) دنجرا اسم طالب هندي كان بانجلترا وهو من حزب الفدائيين الأحرار من الهنود الذين يحاربون أعداءهم الإنجليز بالسيف والقلم وقد كان من أمره أنه انتهز فرصة في حفلة بلوندره مكنته من قتل السير كيرزون وبلي الذي كان من حكام الهند معتقداً أنه بذلك القتل يثار لبلاده ويعيد مجد أمته وقد قبض عليه وأجرى التحقيق معه فأبدى هذا الاعتقاد بكل صراحة معلناً أمله في حياة الهند بموته وموت أمثاله في سبيل جهادهم من أجلها ولما حكم عليه بالإعدام ابتسم لهذا الحكم وحياه بسلام عسكري بكل ارتياح علي أن هذا المذهب الفدائي العدمي إذا أفاد في بلد فقد لا يفيد في الأخرى وربما أخفق سعي أصحابه في بعض أغراضهم ولكنني أرى أن الفكرة الأولى المراد بها خدمة البلاد والانتقام من أعدائها بالتحجج الطرق وأفضلها فكرة شريفة محترمة لا تتشبع بها إلا نفس شجاع مقدام بصرف النظر عن نتائجها التي قد لا يلحظ صاحبها فيها إلا خيرها وأولها لهذا يجدر بمثال هذا الطالب أن يمجداً لا باعتبار عملهم الأخير ولكن باعتبار فكرتهم الشريفة وشخصيتهم الكريمة سواء أحسنوا بعد أم أساءوا.

## إليه بعد الإعدام (١)

كيف أرثيك دنجرا بمقال  
كنت شهماً على البلاد غيوراً  
يدعى القوم أنه إجرام (٢)  
دفعتك الحياة للموت حتى  
لم يشنك (٣) الرضاء والإحجام  
فقضيت الحياة مبتهج اننف  
لم يرعك القضاء والإعدام (٤)  
س وأمضت قضاءها الأحكام  
مت بالأمس والمات حياة  
خلدتها لذكرك الأيام  
فسلام عليك والدمع جار  
وسلام وفى القلوب ضرام  
لك يهديه النيل والأهرام  
وسلام وأنت حى وميت

\* \* \*

يا فتى الهندان فى النفس وجداً  
رمت أبدية يوم موتك ولكن  
كامناً تستفزه الآلام  
وسيبدو مع الزمان ويدرى  
حال بينى وبينه الحكام  
غافل القوم أننا لا ننام (٥)

(١) نشرت هذه الأبيات بالملاء فى يوم الخميس ٣ شعبان سنة ١٣٢٧ - ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ وقد

نظمتها عقب تنفيذ حكم الإعدام على دنجرا كما نظمت الأبيات الأولى بعد إصدار هذا الحكم عليه .

(٢) يعتبر القانون تمجيد جريمة القاتونية جريمة معاقباً عليها ولذلك كان رثائى لدنجرا رثاء شخصياً لا يلاحظ فيه غير الفكرة الأولى كما تقدم .

(٣) أى يعبك .

(٤) أى يخفك .

(٥) أى إن وجد النفوس المستكن لا يبدية غير الزمان خصوصاً إذا كان فى إبدائه شبهة قانونية فى حكومة مستبدة ولهذا كان قولى قاصراً على ما لا بد منه فى ذكر دنجرا باعتباره وطنياً يجاهد فى سبيل وطنه ولا عبرة مما يراه صواباً أو خطأ من وسائل الجهاد .

## قضية دنشواى (١)

### إلى ناظر الحقانية (٢)

### قبل الحكم على الشيخ عبدالعزيز

حكمت فلم تنصف وقلت فلم تصب  
ورمت مراماً دونه الله والناس  
وبحت بأسرار الوزارة معلناً  
وأبديت ما لم بيد غالى وعباس (٣)  
فأغضبت فى مصر القضاء وأهله  
وأرضاك أن يرضى خزون ودساس  
فلا تك بعد الآن للعدل موثلاً  
فغيرك بعد الآن للعدل حراس  
وحارب بسيف الظلم من شئت بيننا  
فغاية ما يغنى من الظلم إفلاس

(١) حدثت مسألة دنشواى فى شهر يونيه سنة ١٩٠٦ ويوم ذكرها هو يوم تنفيذ حكم الشنق والجلد على عباد الله المظلومين وهو يوم ٢٨ من هذا الشهر.

(٢) كتب فى «اللواء» حضرة الشيخ عبدالعزيز جاويش يوم ذكرى دنشواى فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٠٩ مقالة أنحى فيها باللائمة على قضاة دنشواى ومحاميهما مناجياً أرواح شهدائها إلا برياء مثيراً بقلمه المؤثر ما كمن فى القلوب من وجد وشجن فهب بعض من صوب إليهم سهام قلمه ورفع قضية عليه مطالباً بتعويض مالى «١٠٠٠٠ جنيه» بدعوى أنه أهين «شرفه» وهبت النيابة العمومية ناهجة نهج هذا البعض محاسبة الكاتب على ما نشر مدعيه.. انه أهان القاضيين العادلين فى دنشواى «بطرس باشى وفتحى باشا» وأصبحت المسألة فى يد القضاء المستقل، ولكن ناظر الحقانية «رشدى باشا» سافر إذ ذاك إلى الاستانة ودار بينه وبين أحد الصحافيين هناك حديث رجح فيه الحكم على الشيخ عبدالعزيز ثم أرسل خطاباً إلى الجريدة التى نشرت حديثه وهى الكوربيه مصححاً بعض ما ورد فيه فلما أتى على سؤال الصحافى - هل يحكم على الشيخ جاويش؟ استبدل الترجيح بالتأكيد. وكان لهذا الحديث أثر سئ فى مصر وقد أمطر البرق والبريد رسائل الاستياء منه والاحتجاج عليه آتياً مؤلفة على جريدة اللواء وسائر الجرائد الوطنية ونشر اللواء الصادر يوم الثلاثاء ١٧ رجب سنة ١٣٢٧ - ٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ نص الحديث والخطاب المشتمين.

(٣) أى أن رئيس الحكومة السابق وأمير البلاد لم يبدى ما أبداه ناظر الحقانية من التهجم على استقلال القضاء والحكم على متهم لم تنظر قضيته بعد وهما ارفع شأناً وأعظم خطراً وإذا ساغ لأحد ما ساغ لرشدى باشا كان أحق بذلك وأولى.

لعمرك ما قصر الدوبارة نافع إذا انتبه المظلوم واحتدم الباس (١)  
وهيهات أن نخشى وعيدك بعد ما نهضنا مع الآمال وانهزم الياس (٢)

### بعد الحكم (٣)

هل سال في مصر الدم (٤) أم ثار فيهما المسلم؟  
ودعا دعاء محمد داع فذهب النوم؟  
ومضوا إلى أهل الضلا ل فأعدموا من أعدموا  
وقضوا على باغي (٥) المظا لم ثم لم يتأثموا (٦)

(١) الباس العذاب أو الشدة في الحرب.

(٢) انهزام اليأس أول واجب على الشعب الذي يجاهد في سبيل الحياة ويكون له أمل في الاستقلال. ومتى نهض في الآمال وتعلق بالمعالي فهيهات هيهات أن يخشى وعيد موعده أو تهديد مهده واستبداد مستبد.

(٣) بعد إن حكم قاضي محكمة عابدين الجزئية عبي الأستاذ الشيخ عبدالعزيز بانفرامة رفعت القضية بصفة استئنافية إلى المحكمة الابتدائية فحكمت عليه يوم الأربعاء ٩ شعبان سنة ١٣٢٧ - ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ بالخمس البسيط ثلاثة أشهر وكانت الجلسة تحت رئاسة القاضي باغوص بك أوغوبيان الذي رقي بعد ذلك إلى وظيفة قاض بالمحكمة المختلطة ووافق يوم تعيينه بها يوم خروج الأستاذ من سجنه.

(٤) هذا الاستفهام وما يليه إلى لنهاية إنكارى يراد به معرفة الأسباب التي تحمل الحكومة كل حين على مصادرة الحرية ومحاكمة الأحرار وسن قوانين الاستبداد العرفية بلامسوغ معروف مع أن مصر لم تكن بالبلاد النائرة التي تسيل فيها الدماء أو يهب فيها المسلم داعياً دعاء النبي ﷺ مجاهداً في سبيل الدين حتى يسلم من شاء ويخضع من شاء أو يقضي أهلها على الباغي الظالم كلما رام المظالم أو يطاردون ويحاربون الواغلبين الدخلاء ويديقونهم كأس الوبال كل هذا لم يكن ولن يكون مهماً مهماً زماناً الأعداء بالهياج والتعصب والفوضوية فإن سلامة مصر في السكون والسلام.

(٥) طالب.

(٦) نائم أى تخرج عن الإنثم وكف.

واستفتحو باب الجحيم  
فمضى بلعنة ربه  
وغدا «الدخيل» مروعاً  
يرجو النجاة ولا سبي  
ويمد صوت ندائه  
ذاق الوبال بما جنا  
فاندك صرح كان في  
وكذلك شأن المجرم

\*\*\*

أما «الوكالة»<sup>(٢)</sup> فاستما  
واستنصروا بالله فاند  
وانثل<sup>(٣)</sup> عرشهم ووجي  
لم تبق منه بقية  
بادوا<sup>(٤)</sup> فباد الظلم وان  
وأضاء مصر ضيأؤها  
يا نيل عاد لك الصفا

توا عندها وتقدموا  
هزم العداة وأسلموا  
شهم انثنى يتندم  
تحمى الظلوم وتعصم  
صرم<sup>(٥)</sup> الزمان المظلم  
وترنم المتترنم  
ء وبات شعيبك ينعم

(١) أى بعصمة ويحصنه .

(٢) هى الوكالة البريطانية التى يحافظ الشعب عليها كما يحافظ على سائر الوكالات الأجنبية ويعامل أهلها باعتبارهم ضيوفا معاملة الكريم للكريم .

(٣) أى سقط وانهدم .

(٥) انقطع ومضى .

(٤) هلكوا .

عذبت (١) مياhek وانتأى (٢)  
 عن شاطئك العلقم (٣)  
 وتحمر القطران (٤) فان  
 وتخلص القلم الأ  
 عن حالتك يترجم (٥)  
 وغدا لواؤك (٦) ناطقا

\*\*\*

ياليت شعري هل بدا  
 وجنى العبياد جناية  
 حتى تحاربنا الحكو  
 وتسومنا (٩) سوء العقو  
 والله يعلم أننا  
 لم نجن ذنباً نستبي  
 والظلم كل عشيية  
 والقوم في غفالنهم  
 في مصر يوم أقتم (٧)  
 فاهتاج سشر مضم (٨)  
 مة عند ما نتألم  
 به حينما نسترحم  
 لقضائها نستسلم  
 ح به ذماماً يحرم  
 يغشى البلاد ويدهم (١٠)  
 والظالمون همو همو

(١) حلت . (٢) ابتعد .

(٣) لعلقم شجر مر ويقال لكل شيء مر علقم .

(٤) أي تخلصت مصر والسودان من رق الاستبداد والاستعباد .

(٥) أي أصبحت حرية الكتابة والخطابة خالصة من شوائب التعسف والتعنت .

(٦) مما يذكر بالأسف من أعمال الحكومة السالفة أنها أنذرت جريدة « اللواء » يوم الحكم على رئيس تحريره في هذه القضية بدعوى أنه امتدح عمل دنجرا الطالب الهندي السابق ذكره مع أنه لم يذكر عن عمله شيئاً وإنما كتب ما كتب متكلماً عن شخصيته ووطنيته ليس إلا .

(٧) معظم . (٨) أي هاج شر متقد .

(٩) تجاربنا بعقابيا وترغما علي احتماله .

(١٠) بمعنى يغشي .

لم يكفهم صبر الكرا      م فأقسموا أن يبرموا (١)  
وقضوا على عبدالعز      يز بحكمهم وتحكموا

\* \* \*

يا ساكن السجن الكريه      م وأنت نعم الأكرم  
حكموا بسجنك قبل ما      حكم القضا أن يحكموا (٢)  
فعبست عند قضائهم      ودخلت سجنك تبسم  
هم توجوك بتاج مج      سد خالد وتهكموا (٣)  
حسدوك أو جهلوا علا      ك ومثلهم لا يعلم  
ما السجن للشرفاء      إلا رفعة وتنعم  
فاصبر ولا تحزن إذا      حم القضاء المبرم  
وتأس (٤) بالعلماء      ء والعظماء إنك منهمو  
أنت البريء ومن يخا      لك (٥) مجرمأ هو مجرم  
والشعب حولك ناهض      منتألم يتظلم  
يهديك في سجن الكرا      م تحية ويسلم

(١) اي يضجروا والمعني أنهم أرادوا أن يضجرونا ويبرمونا حتي نخرج عن دائرة الصبر الجميل .

(٢) إشارة إلي حديث ناظر الحقانية السابق .

(٣) اشتد غضبهم وتكبروا .

(٤) تعزواقتد .

(٥) ليس المجرم من حكم عليه بالسجن في سبيل خدمة بلاده كما حكم علي الأستاذ صاحب هذه القضية وكما حكم علي سواه من الشرفاء الأبرياء لاسيما إذا روعي أن الحكم صدر في حكومة استبدادية وإنما المجرم الحقيقي هو من يخون بلاده ويجني علي أمته بخيانتته سعيأ وراء ارب شخصي وغاية سافلة ومما أذكره هنا بمزيد السرور أن الأستاذ رعاه الله تلقى نبا الحكم عليه وهو في داره بين أهله وعشيرته برياطة جاش وابتسامه ازدرأ وذهب إلي النيابة مسرعأ بصحبة رئيس الحزب الوطني وأحد محاميه الفضلاء أحمد بك لظفي وكيل الحزب مقدماً نفسه إليها قبل أن تصل يدها إليه مستعداً لتنفيذ الحكم عليه .

## بين قبول النقض ورفضه (١)

### نذير اليأس بعد بشير الأمل

عاد للحق أمره واستنارت  
نقضوا الحكم واطمأنت نفوس  
فرعى الله في القضاء كماة (٢)  
ورعى الله مصر ما دام فيها

شرعة العدل بعد هتك الظلام  
أزعجتها الظنون في الحكم  
حاربوا بالهدى هوى الأحكام  
معقل (٣) الحق خائف (٤) الأعلام

\* \* \*

إن عبدالعزيز أدرك مجداً  
دخل السجن ثم عاد إلينا  
برءوه وهم عدول كرام

خلدته صحائف الأيام  
رافع الرأس ناصر الإسلام  
فاستحقوا شعائر الإكرام

\* \* \*

ليت شعري أفي «اللواء» نذير  
كنت أثنى على القضاء فمالى لى

أم بشير وفي بنيل المرام؟  
كنت لا ألمح النذير أمامى؟

(١) بعد حكم المحكمة الابتدائية علي الأستاذ قدم محاموه الثلاثة «أحمد بك لطفي وإسماعيل بك شيمي ومحمود أفندي البسيوني» أوجه النقض للحكم وتحدد يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ١٣٢٧ - ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٩ للنظر في ذلك بجلسة النقض والإبرام المنعقدة في هذا اليوم بمحكمة الاستئناف وكاد الرأي العام يكون مؤقناً بقبول النقض ونظر القضية مما برضاه العدل والاستقلال وكنت من أول الموقنين بذلك ولهذا أخذت أنظم هذه الأبيات وأنا بدار «اللواء» منتظر نيا الحكم بالقبول وكنت مدفوعاً في نظمي بهذا الاعتقاد ولكنني ما كدت أختتم البيت السابع حتي جاء نذير اليأس بعد بشير الأمل وانعكس علي الاعتقاد فاتممت قولني بما أملاه علي الشعور الأخير وجمعت في هذه القصيدة بين الأمل في القضاء واليأس منه.

(٤) متحرك ومضطرب.

(٣) ملجأ.

(٢) جمع كمي وهو الشجاع.

---

رفضوا النقص فاستحال<sup>(١)</sup> يراعى      بعد هذا إلى ظبي<sup>(٢)</sup> وسهام  
وقلوب العباد أضرمتها الوج      سد وباتت بلوعة الآلام

\*\*\*

فهنيئاً لساكن السجن فالد      به اصطفاه للنيل والأهرام  
يبعث القوم للحياة ويدعو      لسبيل النهوض والإقدام  
فليتم هائناً فإننا قيام      حوله والنفوس غير نيام  
وإليه يقدم الشعب حبا      صاغه الله في معاني الوسام<sup>(٣)</sup>



---

(١) تبديل وتحول.

(٢) جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان.

(٣) الكلام علي الوسام في قصيدة التالفة.

## تحية الشعب إلى فتى الحرية وشيخ الأحرار الوسام بعد السجن<sup>(١)</sup>

عادت إلى القلم المشهود سيرته  
فلينظر الشعب هذا وجه قائده  
هذا السجين الذي أضحت محبته  
حقاً على الشعب يقضى منه ما وجبا

\*\*\*

هم بيتوا<sup>(٢)</sup> الأمر فيما بينهم زمنا  
تلفت القوم والتفت قلوبهمو  
وأدرك الشعب سرا كان مستترا  
فأظهر الله فيما أضمرنا عجا  
حول السجين وبات النيل مضطربا  
فهب يعمل حتى يدرك الأربا

\*\*\*

(١) في يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٢٧ - ٣٠ أغسطس سنة ١٩٠٩ أي بعد الحكم علي الأستاذ بخمسة أيام قامت مظاهرة وطنية كبرى بحديقة الأريكية في الساعة الخامسة مساء وكانت مظاهرة استيلاء من الحكم وانعطاف علي السجين الكرم وألقيت فيها الحطب المناسبة واقترح عمل وسام يشترك فيه الشعب ويسمى « وسام الشعب » ليقلده الأستاذ يوم خروجه من السجن في احتفال حافل فتهاقت الناس على الاكتتاب وتالفت لجان في سائر البلاد باسم « لجان الوسام » ومازال باب الاكتتاب مفتوحاً حتى تم صنع الوسام علي أجمل شكل وقلده الأستاذ يوم خروجه من سجن الحرية في حفلة شائقة أقيمت لتكريمه بفندق شبرد في الساعة الرابعة والنصف من مساء ذلك اليوم المشهود . وكانت الشوارع المحيطة بالفندق غاصة بالقاديين والمتظاهرين محبين الأستاذ متيمين بطلعته وصادف في تلك الساعة أن مر من أمام الفندق سمو ولي العهد ثم سمو والده الأمير عثدين من سراي عابدين إلى سراي القبة وقدر أبا انعطاف الأمة بأسرها علي خادمها الأمين وهتاف الجماهير له بالدعاء والحب الصميم أما هذا اليوم العظيم يوم خروج الأستاذ من السجن والاحتفال بتكريمه فبؤ يوم الاثنين ٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ - ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٩ وقد نشرت هذه الأبيات تحية له بجريدة المواء في ذلك اليوم .

(٢) بيت الأمر بره ليلاً .

عبدالعزیز کفاک السجن منقبة  
عبدالعزیز لقد أدركت مطلباً  
إن الزمان الذی نالتک محنته<sup>(١)</sup>  
فاهناً بما نلت من مجد مخلدة  
وأقبل اليوم إن الشعب ذو شغف  
هذا وسامک صاعته حشاشته<sup>(٢)</sup>  
فاستوضح السر واستفسر معانيه  
وانشر لواءک فی مصر يؤیده

يزیدک الفضل من آثارها لقباً  
تسمو به بین طلاب العلا حسباً  
يعی<sup>(٣)</sup> حدیثک مرفوع الشا حقبا  
آثاره الغرب بین السادة النجبا  
وطالما حجبته دونک الرقبا  
وفی ثنایاه<sup>(٤)</sup> سر الحب قد کتباً  
وسائل الرسم إن الرسم فیہ نبا<sup>(٥)</sup>  
نصر من الله أنى جاء أو ذهباً



(١) المحنة ما يصيب الإنسان من المكارة على سبيل الامتحان والاختبار.

(٢) يحفظ .

(٣) الحشاشة روح الفؤاد.

(٤) طياته وتضاعيفه .

(٥) جاء هذا الرسام آية من آيات الوطنية الدالة على فضل الاستاذ معنى وألطف إشارة، وهو مؤلف من ثلاث قطع ذهبية نقش على الأولى رسم الاهرام وكتبت تحت الرسم هذه العبارة « تذكّار الشعب إلى الشيخ عبدالعزیز جاویش اعترافاً بوطنيته الصادقة » والثانية وهى أكبرها حجماً رسم عليها نبات كان يتخذہ القدماء رمزاً للفوز والنصر ونقشت فيها هذه الآية الکریمة ﴿ وَتَبْلُوَنكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ والثالثة هلال فى وسطه نجم، وقد نيطت هذه القطع الثلاث بوشاح من الحرير الأحمر والأبيض مرصعة كل واحدة منها بالأحجار الکریمة ترصيعاً جميلاً، والأستاذ بلا ريب جدير باضعاف هذا التکریم وما أرى كل ذلك إلا رمزاً صغيراً لا جلاله وإكباره وفى القلوب ما شاء الحب والاحلاص .

## إلى وزراء مصر

### احتقار أم اغتصاب!! (١)

يا أيها الوزراء ماذا نابكم (٢)  
إن كان سيف الحق روعكم وقد  
أو كان إسماعيل (٣) صوب سهمه  
واشد يحيى (٥) في الحساب وجاء في  
وتضافر النفر الكرام على منا  
وتنزلت أصواتهم بحقائق  
فتزلزلت أقدامكم من هولها  
ورضيتمو الهرب المعيب لأنه  
إن كان ذلك عذركم فاستغفروا  
أو كان ثمة أمر متوعد

حتى هجرتم «صورة النواب»  
هتك الحجاب وصال في الحجاب  
فأصاب منكم موضع الأوصاب (٤)  
آيات حملته بفصل خطاب  
قشة الحساب بحكمة و صواب  
كانت محجبة بألف حجاب  
وهرعتمو فزعا إلى الأبواب  
خير من الإفلاس عند حساب  
وامضوا إلى الشورى بغير عتاب  
فاعصوا ولا تخشوا من الإرهاب

\*\*\*

عودوا وحسبكم انتصاراً أن عب سدالعال (٦) يخدمكم بلا أتعاب

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء الصادر يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٢٧ - ٦ يناير سنة ١٩١٠ علي أثر إضراب الوزارة الطرسية عن حضور مجلس الشورى فراراً من سؤال النواب ومناقشتهم ولكن أمد هذا الاضراب لم يطل فعادت الوزارة إلى حضور احلسات بعد قيل وقال .

(٢) أصابكم .

(٣) هو سعادة النائب الحر عن مديرية الشرقية في مجلس الشورى إسماعيل باشا أباطة .

(٤) الأمراض .

(٥) هو سعادة نائب الثغور المقدم أحمد باشا يحيى .

(٦) هو إبراهيم أفندي عبدالعال النائب بالمجلس عن مديرية الفيوم .

ولديكم فهمي<sup>(١)</sup> ومن باراه من  
هم ينصرونكمو وإن كانوا لنا  
يا ويل مصر بهم ويأسفا على  
أرضيتموهم نائبين وسركم  
عار عليكم أن يقال وزارة  
هربت فرارا من ميادين السؤا  
واستخلفت حزبا غدت أقواله  
عودوا إلى عهد الوداد وحسبكم  
وتحرروا عند الجواب وأوضحوا

نوابكم متعددى الألقاب  
ولكم لعمركمو أجل مصاب  
ما حل بالشورى من الأنصاب<sup>(٢)</sup>  
عار الغياب ووصمة الإضراب؟  
لم تدر إن سئلت بيان جواب  
ل وسجلت ما سجلت من عاب<sup>(٣)</sup>  
ورجاله أضحوكة الأحزاب  
ما كان من هجر وطول غياب  
ما ليس نجعله من الأسباب



(١) هو سعادة محمود باشا فهمي الذي كان عضواً دائماً من أعضاء الحكومة فى المجلس ثم أصبح الآن رئيساً للشورى بعد أن سلك فى آخر أيام عضريته مسلكاً لا بأس به فوجب إذاً أن يحل محل « فهمي » فى البيت « علوي » حتى يصلحه الله ويصلح سائر من على هذا الوزن من أسماء الاعضاء وإن بقي بيتي بعد هذا الإصلاح يشكو الكسر والاعتلال .

(٢) أى الأصنام .

(٣) عيب .

## نحن والاحتلال (١)

كفكفى يامصر دمع الوجع  
جاوز الصبر المدى والصدر لم  
كم شقاء ! كم بلاء كم أذى !  
كل يوم حادث مستقبل  
ضجت الأهرام فى موقفها  
كنت تجرى أيها النيل كما  
يوم كان المجد مرفوع اللوا

وارتقب يا نيل نيل الأمل  
يبقى فيه الوجد من محتمل  
أى حال بعد ذا لم يحل؟ (٢)  
ليت شعرى ما حديث المقبل؟  
وجرى النيل يدمع هطل  
شئت فى القطرين عذب المنهل  
بهدى العلم وبأس العمل

\*\*\*

دالت (٣) الأيام واحتل الحمى  
لفظته (٤) أرضه من بعد ما  
فهو فى الهند وفى مصر وفى  
ناكث (٥) الأيمان فى إيمانه

ظالم عن ظلمه لم ينم  
أطمعته نفسه فى الأمم  
كل أرض شر ضيف نهم  
حانث (٦) لم يحتفظ بالذم

(١) نشرت هذه القصيدة فى « اللواء » الصادر يوم الاثنين ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣٢٧ - ١٠ يناير سنة ١٩١٠ بعد أن القيتها فى جلسة المؤتمر الوطنى لثلاثة أى قبل النشر بيومين، أما هذا المؤتمر فإنه ينعقد كل عام بدار « اللواء » ويكون جامعاً لأعضاء الحزب الوطنى العاملين ويخطب فيه رئيس الحزب ومن شاء من أعضاء لجنته الإدارية وغيرهم وتكون هذه الخطب جامعة لأعمال الحرب فى العام السالف شارحة للحركة السياسية العامة شرحاً وافياً معبرة عن رغبات الأمة وأمانيتها بأجلى بيان، وقد كان مؤتمر هذا العام أول مؤتمر بقى منعقداً يومين « الجمعة والسبت » وحضره صحافيون من مصر وفرنسا وخطب فيه المسيو كرتلمون لمسلم الفرنسى والكاتب الصحافى العظيم بفرنسا وكذلك خطبت « المداموزيل بيبه » مندوبة جريدة « الأكلير » الباريسية ودار فيه البحث فى أهم الشؤون الحاضرة والقيت على رئيس الحزب فريد بك أسئلة حمة من أكثر الأعضاء فأجاب عنها بما عهد فيه من إصالة الرأى وسداد الجواب .

(٢) يتحول (٣) دارت (٤) طرحته (٥) ناقص (٦) أى مخلف كاذب

باعث الجهل مميت للحجا(١)  
لا رعاه الله من مغتصب  
ورعى النيل وأجرى ماءه  
خاذل الحق نصير المجرم  
أشأم اليوم نذير النقم  
ضاحك الوجه بشير النعم

\* \* \*

أيها الشعب أفق ولى الظلا  
فدع النوم وقف مستخبرا  
سائل التاريخ عنها إنه  
تلك دار سـجلت آثارها  
هذه مصر وهذا ذكرها  
فانهض اليوم ولا ترقب غدا  
إنما الآلام آمال وفى  
م ولاح النور للمستبصر  
هل لمصر فى الورى من خبر؟  
صادق الأخبار جم العبر  
بين إجسلال وذكر عطر  
ناطق الآيات باقى الأثر  
وادفع الشر بسيف الحذر  
قدرة الشعب مدار القدر



(١) العقل .

## آهة مصرى

### ينوح على مصر<sup>(١)</sup>

آه كم أنه وكم حسرات  
طال ليل البلاد والشعب سار<sup>(٢)</sup>  
ظلمات من المطالم أودت  
يشتكى الشعب والقضاة خصوم  
أوشك القلب أن يطير انتقاماً  
ليس للصبر موطن فى فؤاد  
بين جنبى مسهد مستهام  
همه مصر خير أرض أقلت<sup>(٥)</sup>  
طلع النحس بالشقاء عليها  
قهرتها يد الطغاة وكانت

آه كم زفرة وكم عبارات  
لا يرى غير هذه الظلمات  
بضياء الحياة بعد الحياة  
فلمن يشتكى خصام القضاة؟  
بيد أن الصدور ذات أناة<sup>(٣)</sup>  
أضرمته لواعج الزفرات<sup>(٤)</sup>  
ليس يشكو هو فتى أو فتاة  
بعد خير الهداة شر البغاة<sup>(٦)</sup>؟  
ودهاها الزمان بالويلات  
مصر أولى بقطع أيدى الطغاة

\*\*\*

ياربى<sup>(٧)</sup> النيل جادك النيل هل أج  
هل سنو يوسف أبر بمصر  
ما لمصر تنكرت ورمائها  
مدبت من قبل هذه السنوات؟  
أم سنو الاحتلال والأزمات  
سيىء الحظ فى يد السيئات؟

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء وغيره يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٣٢٨ ٢٠ يناير سنة ١٩١٠.

(٢) الساري هو السائر ليلاً.

(٣) الأناة الحلم.

(٤) أى أشعلته النيران المتصاعدة مع انفاس الوطنى الحارة.

(٥) حملت (٦) الظالمين (٧) جمع رابية وهي اعالي الارض.

أين عهد الجلال فى ملك مصر؟  
حسنت على الزمان أقامت  
تلك أيام انجلت (١) وعهود  
أين عصر العلوم والحسنت؟  
وزمان مضى بغير شكاة  
أصبحت خطرة من الخطرات

\* \* \*

ليت شعرى مالى أنوح على مص  
وأرى الشعب ناهضا يتناجى  
ليس يدرى ولست أدرى سبيلا  
أدركتنا الخطوب فخطب  
فمتى نلقذ البلاد ونمضى  
ر بقلب ومقللة ودواة (٢)  
بقلوب كثيرة الخفقات  
لبلوغ الرجاء قبل الفوات  
وبلاء من العدا والولاة  
بسلام إلى سبيل النجاة!

\* \* \*

أيها الشعب إن فى النيل نارا  
وادفع الشر بالتى هى أولى  
إنهم يرقبون أمرا خطيرا  
إن فى قبضة الشعوب حساما  
يدع الخامل الجبان شجاعا  
ويجير البلاد من نكبات  
ذلك العلم فاتخذه سلاحا  
واجعل النفس والنفيس فداء  
واقض للمجد حاجة بيتغيها  
يوم تمسى كنانة الله حصنا  
وترى النيل باسم ربك يجرى  
فاتق النار بالهدى والشبات  
وتجنب مساقط الزلات  
فترقب أمورهم بالتفات  
صادق البأس ماضى العزمات  
ويث (٣) الحياة فى الأموات  
ويجر العدا إلى نكبات  
يافتى النيل فهو حرب العدا  
بين ماض من الحياة وآت  
منك يوم الرفاء بالحاجات  
تتقيه كنانة الحادثات  
يانع إليمن فائض البركات

(٢) ينشر.

(٣) عين.

(١) انكشفت ومضت.

من عهد الروحات والغدوات<sup>(١)</sup>  
المح الجبن في قلوب الحماة  
يوم يدوى بمصر صوت الدعاة  
فطرحهم فإنهم في ممات  
همه في الوجود هم الشاة  
س غدا فهو مطمح النظرات  
وزلزل مواقف النازلات  
فاتبعه في صادق الحملات  
حاربوا المبطلين بالبينات  
صور بينهم من النائبات  
فدهشنا بمنطق الآلات

رائحاً غاديا يجدد عهدا  
يافتى النيل أدرك النيل إني  
ليس فيهم فتى يجيب دعاء  
ألفوا الذل واستماتوا فماتوا  
كيف ترجو الحياة من غير حى  
جاهد اليوم ما استطعت ولا تنه  
وانصر الشورى في مواقفه الغر  
إن في إسماعيل آية صدق  
وترنم بمدح قوم كرام  
أيدوا الحق عندما خذلته  
نطقت بغتة بما لقنوها

\* \* \*

عيل بين المجاهدين الكماة  
ويقون القناة يوم القناة<sup>(٢)</sup>  
أصبحوا بينها من العشرات  
وأقاموا في وجهها عقبات  
رسوى ما بهذه الخزيات  
وقضى ما يشاء من لعنات  
يبلغ النيل مبلغ الرغبات

بارك الله حزب يحي وإسما  
ينصرون البلاد نصراً عزيزاً  
وأقال الديار عشرة قوم  
وسموها بميسم العار ظلماً  
ولعمري ما بالديار من العا  
لا قضى الله مأرباً أملوه  
ورعى النيل أينما سار حتى

(١) إشارة إلى عهد العدل الإسلامي، والدولة الصالحة الدستورية أيام كان عمرو بن العاص والياً على مصر فكتب يصف النيل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بأنه نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات، وهو خير عهد كان على مصر والمصريين خيراً وبركة.

(٢) أى يحفظون قناة السويس يوم يعرض على الجمعية العمومية أمرها وتطلب الحكومة منها موافقتها على مد امتيازها من سنة ١٩٦٩ إلى سنة ٢٠٠٨ فى نظير سراب لامع من المال يريد المستشار المالى ليبيده فى مجاهل السودان، وقد حقق الله أمل الأمة فى نوابها ورفضت الجمعية العمومية هذا المشروع بالاجماع إلا واحداً أراد تعديلاً لم يعن به أحد.

## السين يضطرب والنيل ينتحب<sup>(١)</sup>

ما لقلب السين يضطرب      وأخوه النيل ينتحب؟  
بلغت باريس غايتها      فتولى نهرها الطرب  
ودهت مصرا نوائبها      فأصابت نيلها النوب  
إن يغض فالوجد مستعر      أو يفض فالدمع منسكب  
فهو في حاله مكتئب      كاد منه الماء يكتهب  
زاده شجوا على شجن      ذلك القلب الذي يجب<sup>(٢)</sup>  
أيها السين اتئد فلقد      فاض منك الويل والحرب<sup>(٣)</sup>  
أصبحت باريس باكية      فبكى الأعجام والعرب  
إن باريسا وبهجتها      نعمة الدنيا ولا عجب  
أشرق في الغرب ساطعة      وضيء الشرق مغترب  
فلمحنا عند طلعتها      حجب الأنوار تحتجب  
ورأينا في مشارقنا      نائي الآمال يقترب  
وهبتنا من مواهبها      بعد ما كنا لها نهب  
فأعدت عهد من وهبوا      وأعدنا عهد من طلبوا

(١) نشرت هذه القصيدة في «اللواء» يوم الخميس ٢٣ محرم سنة ١٣٢٨ ٣ فبراير سنة ١٩١٠ بمناسبة فيضان نهر السين الذي أغرق باريس وألحق بها الحزن والأسف العام.  
(٢) الشجو الحزن وكذا الشجن ويجب بمعنى يضطرب.  
(٣) الحرب بفتح الحاء والراء بمعنى الويل.

وتجملت فى منازلنا  
 إن فى آياتها حكما  
 كيف لا يبكى الأنام لها  
 كلما فازوا بمطلب  
 فهمو فى أثرها تبع  
 هل سما شعب إلى أرب  
 أو علا فى أمة حسب  
 كل مجد شاده سبب  
 إن هذا عصرها ولها  
 وحياة الغرب إن سعدت  
 ومعالي السين إن نسبت

\* \* \*

يا عروس الغرب لا نزلت  
 ليت شعرى هل غفى نهر  
 أنا ذو وجد عليك فلو  
 لى فىؤاد فىك ذو وله  
 بات فىك الماء منسربا  
 بحماك الناضر الكرب  
 أم أفاضت دمعى السحب؟  
 جف دمعى راعك اللهب  
 كساد من لوعاته يثب  
 وهو فىه الجمر منسرب(٤)

(١) الغفلة.

(٢) المطلب بتشديد الطاء المفتوحة وفتح اللازم المطلب.

(٣) ترغب.

(٤) المنسرب الذى يدخل السرب واصل السرب بفتح السين والراء البيت فى الأرض.

ليتنى أمسيت فى لجج  
علها ترى حشاشة من  
يا ربي باريس إن لنا  
صانك الرحمن زاهرة  
ومياها السين لى نغب (١)  
شَفُه من أجلها الوصب (٢)  
رغبات فيك ترتقب  
ونأى عن روضك العطب

\* \* \*

إن أتى بالمال مكتسب  
وتبارى الناس فى كرم  
وجرى من نهرك الذهب  
فهو من كفيك مقتضب (٣)

\* \* \*

كيف أهدى اليوم تعزيتى  
هل ترى مال الكنود (٥) مضى  
وترى قوماً أولى نشب  
جعلوا الأموال آلهة  
فى حصون من صيانتهم  
فإذا مدت لها يدهم  
فهى موتى فى مراقدها  
ويدي لم يهدا النشب (٤)  
وله فى سربه (٦) سرب  
غير أن الجود مجتنب  
أسدلت من دونها الحجب  
تترامى دونها الشهب  
مسها من شحهم رهب  
تتولى بعثها الحقب

(١) جمع نغبة وهى الجرعة.

(٢) الحشاشة بضم الحاء بقية الروح فى المريض، وشفه أى هزله والوصب المرض.

(٣) أى مأخوذ. (٤) للمال

(٥) الكنود كافر النعمة والمرأة كنود أيضاً.

(٦) السرب بكسر السين وسكون الراء النفس وأما السرب بفتح السين والراء فهو البيت فى الأرض كما تقدم.

ليس فى عبادها كرم  
لو ملكت اليوم ما ملكوا  
فإلى باريس معذرتى  
إننى إن قمت مكتتبا  
غير ما تقضى به «الرتب»  
لروت من كفى الجذب<sup>(١)</sup>  
وعلى أهل الله<sup>(٢)</sup> العتب  
فبدر الدمع اكتب



(١) الجذب بضم الجيم والذال مع راء الجذبة .

(٢) العطايا .

## قناة السويس

### إليكُم نواب الجمعية العمومية<sup>(١)</sup>

أرادو بمصر محنة وبلاء  
فلم يبق صوت لم يهب منادياً  
تجمع شمل الشعب حول اجتماعكم  
ولو عدل القانون فينا وفيكمو  
على أن آمالاً تمشت إليكمو  
وإن شئتموا كانت لها شر مامل  
وجاءوا بكم يستعجلون قضاء  
ولم يبق سمع لم يلب نداء  
وبتنا علي أنفاسكم رقباء  
لكنتم لنا يوم الرجاء رجاء  
إذا شئتمو كانت لمصر هناء  
وكان لكم شر الجزاء جزاء

(١) نشرت هذه الأبيات في «اللواء» يوم الثلاثاء ٢٧ محرم سنة ١٣٢٨ - ٨ فبراير سنة ١٩١٠ وقد صدر الأمر العالي بانعقاد الجمعية العمومية للنظر في مشروع امتداد أجل امتياز قناة السويس فانعقدت الجمعية لذلك يوم الأربعاء ٢٨ محرم سنة ١٣٢٨ - ٩ فبراير سنة ١٩١٠ وافتتحها سمو الخديوي بخطبة مناسبة للموضوع ثم انقضت يوم السبت ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ - ٩ أبريل سنة ١٩١٠ أى مكثت شهرين منعقدة وقد انتخبت لجنة من بينها لفحص المشروع وتقديم تقرير واف عنه فقامت اللجنة خير قيام بعمل هذا التقرير وقدمته إلى الجمعية فتلى في الجلسة المنعقدة في مساء الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٢٢ مارس سنة ١٩١٠ وهو يقضي برفض المشروع رفضاً باتاً. وفي مساء الخميس ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٨ أبريل سنة ١٩١٠ قررت الجمعية رفض هذا المشروع الضار بالبلاد ومستقبلها بالإجماع ما عدا مرقص بك سميكة الذى طلب قبوله مع التعديل ولم يعن أحد به كما تقدم. وقد برهن نواب الأمة على أهلية وجدارة بمراكز النيابة عنها وقدموا في مدة انعقاد الجمعية كثيراً من الاقتراحات النافعة وتضافروا على طلب الدستور وإلغاء قانون المطبوعات فاستحقوا بذلك تكريم الأمة وتمجيدها ورضاء الرأى العام عنهم، أما المظاهرات التى أقيمت والخطب التى ألقىت والمقالات التى نشرت فى منسالة القناة وتحذير الجمعية من قبول مشروعها فلا يسعها إلا المجلدات الضخمة والصحف الكبرى، وقد تغيرت سياسة البلاد فى أثناء انعقاد الجمعية فقتل رئيس النظار واستقال رئيس الجمعية وصرح رئيس الوزارة الجديد فى جلسة الجمعية المنعقدة فى مساء يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٥ أبريل سنة ١٩١٠ بأن رأيهما فى المشروع قطعي وقد كان فسبحان مغير الأحوال .

---

لقد بات قلب الشعب سهماً مصوباً  
وبات يراع الكاتبين مهنداً  
وأصبح وجه الطرس وجه كريهة  
وها قد أتى يوم القناة معجلاً

سيمضى إلى النواب أو يتناهى  
فاطلع من ليل المداد ضياءً  
به أسطر كادت تسيل دماءً  
فويل لمن يوم القناة أساء



## آية الذكرى

### للفقيد العظيم<sup>(١)</sup>

كادت تسيل من العيون قلوب  
عامان لم يدعا فؤاداً خالياً  
تشكو القلوب إلى الزمان مصابها  
يا دهر طال من الحبيب غيابه  
راع القلوب<sup>(٢)</sup> فراقه فتلفت  
أما الديار فما أجابت سائلاً  
يا دار أسكتك الأسي وتكلمت  
يا ليث شعري هل تطوف بك المنى  
من للبلاد وقد تغيب بدرها  
أو للنزال وقائد الجند ارتقى

\* \* \*

كادت لها ولدان مصر تشيب  
نبأ لعمرك في البلاد مريب؟  
وله بيثرب أنة ونحيب  
أى مصطفى نزلت بمصر نوازل  
هل جاءك النبأ العظيم وأنه  
أمسى له الدين الخفيف مروعاً

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء يوم الاثنين ٤ صفر سنة ١٣٢٨ - ١٤ فبراير سنة ١٩١٠ بمناسبة ذكرى فقيد

الوطن المرحوم مصطفى كامل بعد عامين وقد تضمنت أهم الحوادث السياسية في عام.

(٢) اضطراب.

(٣) أي أخافها.

جلدوا شيوخ الدين بين قبيلهم  
والأزهر المعتز أصبح موطناً  
دهموا بنيه بخيلهم وبرجلهم  
عابوا على القوم الكرام نهوضهم  
ورأوا مطالبهم فطال سكوتهم  
حملوا عليهم حملة لو شمتها  
ولكنت تحمل حملة مشهودة  
عاد الكرام إلى معاهدهم بما  
هذا حديثهم وبين قلوبنا

\* \* \*

هل جاءك النبأ الذي أمسى له  
دبت إلينا في الخفاء مكيدة  
لولا سكينتنا ولولا حلما  
هم جردوا القانون<sup>(٥)</sup> من أكفاه  
راموا به ضرباً على أعلامنا  
في كل قلب مسرب ودبيب  
كادت بها آمال مصر تخيب  
لقضى على شمس السلام غروب  
وترقبوا الأعلام حين تصيب  
ياليت شعري أين المضرروب؟

(١) أي أن حمادة باشا وجنده المهزوم أمر بجلد بعض الأزهرين في قبلة الأزهر الشريف فجلدوا وإخوانهم يرونهم ولم يرع هذا المستد للمسجد وقبلته حرمة بل أزري بهما وأهانتهما ولكن لا يسعني الآن إلا الدعاء له بالرحمة الواسعة فقد أدرسته الوفاة يوم ١١ يونية سنة ١٩١٠ علي إحددي البواخر وهو عائد من الأستانة إلي بيروت طلباً للشفاء من مرضه. وكان ذلك عند وصولي إلي هذا المكان من الكتاب. فرحمه الله.

(٢) التثريب نهاية اللوم والتقبیح.

(٣) تصيب. (٤) أي مضطرم متقد

(٥) أي قانون المطبوعات.

هل ميت يقضى على حى وهل  
إن أرهبونا بالقواضب والقنا<sup>(٢)</sup>  
أو أرسلوا فى النيل جيشاً غالباً  
هل يخفضون لواءك المرفوع فى  
لو كنت حاضرنا وقد حم القضا  
لرأيت نائبك الكريم وقد مضى  
والشعب متقد القلوب كأنها  
أما الكنانة فهى مهجة وامق<sup>(٤)</sup>  
باتت ثلاثة أشهر خفاقة  
حتى بدا عبدالعزیز ووجهه  
الدهر يكتب مجده الاسمى وفى

حى إلى غير الحياة بنيب<sup>(١)</sup>  
فيراعنا الماضى هو المرهوب  
فالجيش عند لقائنا مغلوب  
مصر وأنت على «اللواء» رقيب؟  
وتنزلت بالنازلات غيوب  
للسجن يبسم والقضاء قطوب<sup>(٣)</sup>  
جمر له بين الضلوع شبوب  
لم يدر أين تحول المحبوب  
والنيل يجرى دمعه المسكوب  
فيه لمصر مأمل مرغوب  
صحف القلوب له الهوى مكتوب

\* \* \*

هذا حديث عن لوائك مرسل  
زعموا الحال<sup>(٥)</sup> وأنذروه حينما

فأجب فإن حديثه لعجيب  
سجنوا فتاه وانقضى المطلوب

\* \* \*

فى مصر قامت دون ذلك ضجة

فيها لكتاب الهوى أسلوب

(١) يرجع .

(٢) القواضب السيوف والقنا الرماح .

(٣) عابس .

(٤) الوامق المحب والمقة بكسر الميم المحبة .

(٥) أي أنهم أرادوا بإنذار «اللواء» أن يوهموا أن قانون المطبوعات سار على الأجنبي والوطنيين معاً والحقيقة أنهم زعموا محالاً فإن الصحف الأجنبية فى مصر متمتعة بجميع حريتها ولا سلطان لهذا القانون الجائر عليها مع أن منها ما تملأ أنهارها هاكل يوم بالمطاعن المنكرة فى الدين والفضاء والأمة وحكامها الوطنيين مما تستوجب لأجله التدمير ولكن يد الحكومة بجنودها وقوانينها عاجزة عن الوصول إليها وقد كان اللواء فى ذلك الحين مستظلاً بحماية مدير سياسته الغيور المفضل الدكتور منصور رفعت المتجنس بالجنسية الأمريكية وكان له ما لسائر الصحف الأجنبية من الحقوق ولكن الحكومة انتهزت فرصة سفر الدكتور خارج القطر وأنذرت اللواء تعسفاً واستبداداً .

قاضي القضاة يصون حقاً واجباً  
جحدوا الحقوق وحاولوا ما حاولوا  
والحق بين يدي سواه سليب  
حتى مضى يحيى وجاء نسيب<sup>(١)</sup>

\* \* \*

أعلمت ما أمر القناة وإنه  
فالمستشار يروم صفقة خاسر  
والشعب دون مرامه متجمع  
ولئن رموا تلك الجموع بملئهم  
هم أوقدوا النيران في أحشائنا  
فإذا تهب تشب عند هبوبها  
يا أيها النواب بين يديكمو  
صونوا القناة وحافظوا أن تخذعوا  
أمر بالأم النفوس مشوب؟  
تغنى بها في غير مصر جيوب  
في كل حي كاتب وخطيب  
فالماء في نار القلوب لهيب<sup>(٢)</sup>  
ولريحها في الحادثات هبوب  
نار لها في الجانبين نشوب  
أمل قضاؤكمو عليه رهيب  
فالمستشار بمال مصر لعوب

\* \* \*

أى مصطفى أن الحوادث جمة  
عبست لنا الأيام بعدك وانقضى  
وبمصر من تلك الخطوب ضروب  
عهد الصفاء وأنه لقريب

(١) حادثة قاضي القضاة يحيى أفندي ترجع إلي شدة تمسكه بالحق وحرصه على حقوقه الشرعية في مصر ولكن الحكومة لم يرق في نظرها ذلك وأرادت سن نواحي وقضاء مآرب لم يوافق القاضي عليها فسعت سعيها وأوفدت إلي الأستاذ من أوفدت ومازالت تعمل على استبدال هذا القاضي العادل الشجاع بسواه حتى تم لها ذلك وغادر يحيى أفندي مصر في صباح يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٧ - ١٦ يونيو سنة ١٩٠٩ مودعاً بالجماهير محتشدة الهاتفة بدعاء الحياة وإجلال وحل محلة القاضي الجديد نسيب أفندي الذي قدم إلي مصر يوم السبت ٦ شعبان سنة ١٣٢٧ - ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٩ وقد كان للمعية اليد الطولي في هذه الحادثة التي أسف الرأي العام لوقوعها أسفاً شديداً.

(٢) احتشدت الجماهير لكثيرة حول مقر جمعية عمومية يوم انعقادها لتنظر في مشروع قانون وقامت بمظاهرات رهيبه ولكن البوليس المستبد حال بينهم وبين إسماع صوتهم لنواب الأمة وأميرهم المعظم وجاء بمضخات الحريق التي كثر استعمالها في هذه الأيام عند كل مظاهرة أو اجتماع وطني لتفريق الجموع بالمياه وقد ذهب وفد نائب عن هذه المظاهرة إلي حكمدار القاهرة يسأله كيف رجال البوليس عن منع المتظاهرين ومطاردتهم ما داموا لم يخرجوا عن دائرة القانون فكان جوابه لرفض وقال: «أنا القانون والجنود جنودي» ذلك جواب هارفي باشا حكمدار العاصمة الإنجليزي!!

غادرتنا وأقمت حزبك ناهضاً  
فسمما به ذلك الرئيس وأنه  
هذا خليفتك الأبر محمد  
لبق بتصريف السياسة كيس (١)  
فاهناً بنعمتك التي ما شابها  
في كل عام يوم ذكرك موكب  
عشرات آلاف تجمع شملهم  
لا زال في مصر لوأوك خافقاً

وله مكان في النفوس مهيب  
للداء إن عز الدواء طيب  
هذا الذي في النائبات ينوب  
كلف بآمال البلاد طروب  
من بين آلام الحياة لغوب (٢)  
يسعى إليك به الأسي ويشوب (٣)  
ومشت إليك بهم نهى وقلوب (٤)  
من حوله شعب أغر نجيب



- 
- (١) اللبق الحاذق في عمله والكبس العاقل الجازم وهي نعوت جدير بامثالها محمد بك فريد الناهض بأعباء  
الحزب الوطني خير نهوض بعد رئيسه الأول .
- (٢) تعب وإعباء .
- (٣) يعود ويرجع .
- (٤) النهي العقول جمع نهية أي عقل والنون مضمومة فيهما .

## آية أخرى (١)

أيها الفتى جرد القلم  
غاب مصطفى حاضر الهمم  
صائن الحمى ناصر الهرم  
ابن الحجاء (٢) وأندب الكرم  
مدمعى جرى وجدى اضطررم  
غاله (٤) ولم يحفظ الذم  
ليتنى أرى ذلك الشمم  
هل درى الردى من به ألم  
يوم ذكره ضاعف الندم  
طال ليلها وهي لم تنم  
لا ترى سوى وجه من ظلم  
والجسوم قد شفها السقم  
وانشر الأسى واشرح الألم  
رافع اللوا خافق العلم  
عاد يومه فاذكر الشيم  
واقطف (٣) الهدى واقراً الحكم  
كيف أشتكى عادى العدم  
كيف ينطوى ذلك العلم  
كيف دان (٥) للموت وانهزم  
أو رأى القضا ركن من هدم  
فالعيون فى بحرها لخضم (٦)  
أشرق الضحى وهي فى الظلم  
والقلوب قد نالها السأم  
أين مصطفى يرسل النعم

(١) نظمت هذه الأبيات فى ذكرى المرحوم مصطفى كامل بعد أن نظمت القصيدة السابقة وقد جعلتها علي هذا الوزن المحدث الذي نظم منه شاعر الأمير في وصف باللو أقيم في سراي عابدين فقال:

مسال واحتجب وادعسي الغضب

(٢) أي اذكر مناقب العقل لذي تحلى به الفقد العظيم واثن عليه بما شاء الثناء.

(٣) اتبع.

(٤) أخذه.

(٥) خضع.

(٦) الخضم بكسر الحاء وفتح الصاد وتشديد الميم العظيم المتلاطم.

فالبلاذ فى قبضة النقم  
والقناة<sup>(١)</sup> فى مصر تقسم  
هل ترى الذى جار واحتكم؟  
وهو فى الذى قال متهم  
والحقوق لم يرعها الحكم  
بات أمرها عبرة الأمم  
ظن بيعها فيه مغتم  
ليته قضى الأمر واحتشم<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

يا قناة فى مائك الضرم  
إنما القضا عنده يحم  
فاحفظى الذى فىك مكتم  
إن يومه لاح وابتسم

\*\*\*

اذكر الذى قبره حرم  
جاده الحيا وكما انتظم  
كل مأمل عنده ارتسم  
فهو روضة حسنها استتم



(١) أي قناة السويس.

(٢) كان جماعة من أولي الأمر يروجون مشروع القناة ويدعون أنه خير عظيم لمصر والمصريين والحقيقة أنه لا خير فيه لغير مروجيه.

## الحادث الخطير (١)

### قتل رئيس النظار السابق

ماذا جرى في ساحة الديوان  
طلقات نار أم طعان مهند  
ماذا دهى شيخ الوزارة فارتمى  
ما لى أراه مضرجاً (٢) بدمائه  
وأفاه إبراهيم مجترئاً على  
ورماه عن كثر (٣) بست عجلت  
فدوى نذير الموت فى الأركان  
أودت ببطرس من يد الوردانى  
فوق الثرى يشكو الردى ويعانى  
وأرى الرغام (٤) بموضع النيشان  
ما كان من بأس ومن سلطان  
خطوات عزرائيل بالأكفان

(١) في نحو الساعة نو حدة بعد ظهر يوم الأحد ٩ صفر سنة ١٣٢٨ - ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ أُطلق إبراهيم أفندي ناصف الورداني صاحب صيدلية لورداني بشارع عابدين مسدسه على رئيس النظار السابق بطرس باشا غالي عند ركوبه عربته غداء نظارة الحفانية فوق عمى الأرض مضرحاً بدمه وثبت القاعن في موقعه حتى قبض عليه حاجب النائب العمومي وناظر الحفانية رشدي باشا ووكيلها فتحي باشا وعبدالحالق ثروت باشا النائب العمومي النذيين كانوا مع الرئيس بقي قبل ركوبه العربة وما كادوا يعودون إلي الديوان حتى سمعوا طلقات النار فأسرعوا إلي حيث قبضوا علي الورداني الذي لم يحاول الفرار مطلقاً وقد نقل المصاب إلي مستشفى ملتون بعد إخراج أربع رضاصات غير خطيرة من جسمه وعمت له هناك في نحو الساعة السادسة مساء عملية لإخراج رضاصة خمسة خطيرة أما السادسة فقد مرت ولم تستقر بمكان من جسمه وقد قضى عليه في الساعة الثامنة والربع من صباح اليوم الثاني. واحتفلت الحكومة بجنائزته في اليوم الثالث في الساعة العاشرة والنصف صباحاً وعطلت الدواوين وكان قد زار، أول يوم بالمستشفى سمو الحديوي والسير الدون غورست وغيرهما والفت الوزارة الجديدة في اليوم الرابع «الأربعاء» من عطفة محمد سعيد باشا رئيساً للنظار وناظراً للداخلية وأصحاب السعادة سعد باشا زغلول للحفانية وإسماعيل سري باشا للأشغال والحربية والبحرية ويوسف سابا باشا للمالية وحسين رشدي باشا للخارجية وأحمد حشمت باشا للمعارف وكلهم من أعضاء الوزارة السابقة ما عدا سابا باشا.

(٢) مطلقاً. (٣) التراب.

(٤) قرب.

نفذت إلى الأحشاء واحدة ثوت<sup>(١)</sup> وأتى الطبيب يقيه صدمتها بصد لم يغن بطرس قومه وأساته<sup>(٢)</sup> وبكته أقباط البلاد وأنه إنى لأذكره وأذكر أنه أحياهمو قبل الممات فأصبحوا فعليه منهم رحمة وعليهمو

\* \* \*

مالي أراهم مهرعين<sup>(٨)</sup> إلى الفتى نالوه بالشر الذى يرضيهمو ومضت يد منهم إليه بلطمة<sup>(١٠)</sup> لو أنصفوا تركوه للقانون لا

\* \* \*

- (١) أقامت .  
(٢) أي جاء الطبيب ليحفظه وبقية آلامها وتأثيرها ولكن صدمته كانت الفاضية لأن العملية كما قال المحامون وكثيرون من الأطباء أمام المحكمة جاءت في وقت غير مناسب فسببت الوفاة .  
(٣) أطباؤه .  
(٤) المجازي كلا بما كسبت يده .  
(٥) روت جريدة « الأخبار » أن بطريك الأقباط حينما وصل إليه نبأ الرئيس وكان مريضاً هم بالقيام فلم يستطع فقال : آه يا خسارة يا عكاز العاجز يا بطرس .  
(٦) الشيخ الهرم .  
(٧) الصدى هو ما يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها والعاني الأسير .  
(٨) مسرعين .  
(٩) أي ليس يجان عليهم .  
(١٠) روت الصحف ما معناه أن رشدي باشا ناظر الحقتانية أن ذاك لطم الورداني لطمه بعد أن أوثقوا يديه قائلاً : لماذا قتلت الرئيس « فرسه الورداني برجله قائلاً : « لأنه جعل مثلك في الوزارة .

سألوه فى التحقيق عن أسباب ما  
فأجابهم أم القتييل فإنه  
فى مصر والسودان آثار يوت  
أما أنا فقضيت حقاً واحب  
ما كنت مندفعاً بغير عقيدة  
هى حب مصر وحرب خائنها وما  
فعلى عاقبة القضاء وإننى  
نكروه من قتل ومن عدوان  
فيمأ أراه خائن الأوطان  
عنه خيانة مصر والسودان(١)  
للنيل عن حب وعن إيمان  
لم أبدها يوماً إلى إنسان  
شابت هداها نزعة الأديان  
ألقى الجزاء العدل باطمئنان



(١) لما سئل الورداني أفندى عن الأسباب التي حملته عن قتل رئيس النظار أجاب: «أنى قتلته لأنه خائن لوطنه فقد وقع على شركة السودان الباطية ورأس محكمة دنشواي وأصدر قنون المطبوعات وأهان أعضاء الجمعية العمومية وهو الآن يحاول مد امتياز قناة السويس فهو خائن للوطن».

## إلى القاضي العادل

حكمت فأرضيت البلاد وأهلها  
وأثنى عليك الله بين ملائك  
ثمانية أحييتهم ورقابهم  
وراقبت فيهم وجه ربك مرسلا  
فخلدت الأيام ذكرك بيننا  
وبات لك الشعب المجيد ممجدا  
وحياك عيسى بعد موسى وأحمدا<sup>(١)</sup>  
ترتل في ذكراك حمداً مردداً  
أقام عليها الموت سيفاً مجرداً<sup>(٢)</sup>  
من العدل آيات وحكماً مسدداً  
وبات لك الشعب المجيد ممجداً

(١) كناية عن تحيته والثناء عليه من الأمة على اختلاف أديانها المثلة في أشخاص أولئك الأنبياء الثلاثة عليهم الصلاة والسلام.

(٢) لما قتل رئيس النظار أخذت النيابة العمومية في تفتيش المنازل التي تقوم علي علاقة أربابها بالحادثة الشبه والأوهم وقد هاجمت بيوتاً كثيرة وأزعجت أناساً كثيرين وقبضت علي من شاءت من الأبرياء وأودعت السجن من شاءت حتي انتهى الأمر بالإفراج عن المقبوض عليهم ما عدا ثمانية رأت النيابة إدانتهم لأنها عثرت في أوراق الورداني علي عقد باسم «جمعية التضامن الأخوي» يفيد أن هناك جمعية من غرضها السعي في نيل الدستور ولو بالقوة وعليه توقيع هؤلاء الثمانية «الأبرياء» فاعتبرتهم مدينين وفتشت منازلهم فعثرت علي هذا العقد لدي بعضهم فاحالتهم بناء علي هذه الشبه علي قاضي الإحالة مع الورداني ليبت في أمرهم ويحيلهم علي محكمة اجنايات محاكمتهم علي هذه الجريمة الموهومة ولكن هذا القاضي العادل «متولى بك غنيم» قرر براءتهم في الجلسة المنعقدة في الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٢٣ مارس سنة ١٩١٠ وأفرج عنهم فاستحق ثناء الأمة بأسرها علي عدله ونزاهته وقد أثنيت عليه بهذه الأبيات ونشرتها حين ذاك أما هؤلاء الثمانية الأبرياء فهم حضرات الأفندية علي مراد ومحمود أنيس وعبدالعزیز رفعت «المهندسين» وعبيده البرقوقي وشعيق منصور «الطالبين بمدرسة الحقوق الحدوية» ومحمد كمال الطالب بالمهندسخانة وعبدالحق عطية المحامي وحبيب حسن المدرس ولكن الحكومة أرادت الا يفلتوا من عقابها فعاقبت من تحت سيطرة وظائفها منهم بالرفق وكذلك رفعت الطلبة الثلاثة وحرمتهم وهم في نهاية سني دراستهم دخول الامتحانات العمومية عامين. وكذلك يفعل الظلم والاستبداد في الحكومة الاحتلالية.

---

فكان لنا عند الشدائد مسعدا  
وفى مصر شعب يشتكى عادى العدا  
وصان حقوق الأبرياء وأيدا  
أعاد عهود الراشدين وجددا

لك الله من قاص تولى أمرنا  
رأى النيل يبكى وخطوب جسيمة  
فلم يخش إلا الله عند قضائه  
سلام عليك اليوم يا خير عادل



## إلى خطيب السلام<sup>(١)</sup>

خطبت فلم تجنح<sup>(٢)</sup> إلى شرعه الهوى  
وأنصفت قوماً أنت منهم وإن عدا  
فما أنت قبطنى يبيع بلاده  
وما أمة القرآن فى مصر أمة  
فأنا وأنتم إخوة فى بلادنا  
نذود عن الأوطان إن طم<sup>(٣)</sup> حادث  
ولكن قوماً فيكمو ساء فألهم  
يرى بعضهم أنا كسونه ذلة  
وآخر يخشى بطشنا وسواهما  
وقد أجمعوا الأمر الذى يتغونه

ولم تتخذ نهج الخصام سبيلا  
عليهم جهول أو أعان جهولا  
ويرضى بدين الجاهلين بديلا  
ترى أمة الإنجيل أبغض جيلا  
أقمنا على دين السلام طويلا  
ونحمى حماها بكرة وأصيلا  
فزفوا إلينا السيئات فصولا  
وبالرغم منا أن يكون ذليلا  
يظن بنا شراً عليه وبيلا  
عشية ما راح الوزير قتيلا

(١) هو مرقص أفندي فهمي الحامي القبطي الذي القى خطبة فى حفلة قبطية أقيمت بحديقة الأزبكية وحيا فيها الثمانية الأبرياء الذين براهم عدل القضاء واستقلاله ونفى عن المسلمين تهمة التعصب كما حصر عمل الورداني فى شخص فاعله وعده عملاً يأسف عليه كل مصري مسلماً كان أو قبطياً وسفه أقوال الذين يتهمون طائفة من الأمة بالاشتراك فى هذا العمل وبالجملة فإنه دعا إلى الوفاق والوثام بين أبناء البلد الواحد من مسلمين وأقباط فكان لا كشر قوله وقع حسن لدى طلاب السلام أم الجريدتان القبطيتان فلم يردعهما رادع عن غيبهما واستخدامهما هذه الحادثة لأغراض الجهلاء الشخصية ورمي الإسلام والحزب الوطني بالمطاعن والمثالب. والكذب والافتراء على الأمة الهادئة المطمئنة والحكومة تسمع وتري ولا تحرك ساكناً.

(٢) تملى .

(٣) أي غلب ودهم .

وأنهوا إلى الإسلام أسوأ قبلا  
إليه فتاكم بالرصاص رسولا  
فبات لها مجرى الدماء مسيلا  
وقد كان معتز الجناح جليلا  
يراه بنو مصر الفتاة نبيلاً  
فتقضى عليهم فتية وكهولا  
تحل بنا يوم الجلاء حلولا  
ولا أزمع المختل عنه رحيلا  
وهل لا ترى في المسلمين قزولا؟  
ولكن رأينا في مقال فضولا  
إلى القبط ألفت القزول فعولا  
وإن كنتمو عند الوفاء قليلا  
أقام على صدق الولاء دليلا  
وأثنى على عدل القضاء جميلا  
روى النيل والأهرام منه غليلا

وشنوا علينا غارة بعد غارة  
وقالوا قتلتم بطيسا وبعثتمو  
فأرسلها ست إليه سريعة  
وأصبح لا وجد عليه ولا جوى  
وما قول إبراهيم إلا كفعله  
سيدفعهم يوماً إلى القبط دفعة  
وبين صدور المسلمين سخيمة  
فلا زال وادى النيل فى قبضة العدا  
فماذا ترى قوم الضلال وقولهم  
لعمرك إنا ما عدمننا مقالة  
ولو شاء منا قابل رد صدمة  
ولكن إخاء لا نحون عهوده  
فسر فى سبيل الصدق يا خير قائل  
وأقبل نحو الأبرياء مكبراً  
ففى ذمة الأهرام موقفك الذى



(١) أبلغوا .

(٢) أي ضغينة وحقد .

(٣) أي زعموا أن المسلمين سينزلون بهم الويل والدمار يوم ينجلي الاحتلال عن هذه الديار ولهذا سالوا الله

أن يديم عهده عليهم فبجهم الله .

(٤) أزمع الأمر وأزمع عليه ثبت عليه عزمه .

## يوم القضاء علي إبراهيم أفندي ناصف الورداني

هل خال<sup>(١)</sup> إبراهيم عند قضاته  
لم يغنه حسن الدفاع<sup>(٢)</sup> ولم تفد  
فقضوا على هذا الشباب<sup>(٣)</sup> وربه  
حتى كأن الموت من رغباته  
أملا من الآمال دون حياته  
فتوى الشريعة وهي حصن نجاته  
لم يئنه الإعدام دون ثباته  
ليكون في الأحياء بعد مماته<sup>(٤)</sup>

(١) ظن.

(٢) كان الدفاع مؤلفاً من حضرات أحمد بك لطفي ومحمود بك أبي النصر وإبراهيم بك الهلباوي «الذي قضى رئيس الجلسة يجعلها سرية حينما أراد أن يتكلم في بعض المسائل السياسية» وناهيك بأمثال أولئك الهامين الكبار.

(٣) لم يتجاوز الورداني ٢٥ ربيعاً وقد كان أسمر اللون نحيف الجسم متوسط القامة عصي المزاج كثيراً الابتسام شديد الحياء طويل التفكير دمث الأخلاق كريم الأعراق غيوراً علي الوطن مجدداً في سبيل رقية محباً لنشر العلم وتأسيس النقابات والإكثار من الجمعيات النافعة وغير ذلك من وسائل التقدم ودلائل الوطنية الصحيحة عرفته في عامة الأخير متحلياً بهذه النعوت الكريمة وما كان يدور بخلد عارفي هذه الاخلاق الودعية أن صاحبها يخطر له خاطر القتل السياسي فيعمل علي تنفيذه حتي يتم له ما أراد غير هيب ولا وجل ولكن الله يقلب القلوب ويعلم ما تكن الصدور.

كان يوم الخميس ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ - ٢١ أبريل سنة ١٩١٠ موعداً للنظر في قضية الورداني أمام محكمة الجنابات المعقدة جلستها تحت رئاسة المستر دولبروغلو وكان ثروت باشا النائب العمومي هو القائم بعمل النيابة وهي أول مرة قام فيها هذا المقام. وقد افتتحت الجلسة الساعة ٩ صباحاً واستمرت في سماع الشهود إنباتاً وغيباً حتى انقضى اليوم وأعيدت في صباح اليوم التالي وبعد الانتهاء من سماع الشهود طعن الدفاع في شهادة الإنبات وتمسكت النيابة بها فقررت المحكمة عرض المسألة علي لجنة من الأطباء باعبارهم خبراء لبيدوا رأيهم في اقوال الفريقين الدائرة حول أسباب الوفاة الناتجة من العملية علي رأي الدفاع وشهوده أو «الصدمة» الأولى علي رأي النيابة وشهودها وفي يوم الخميس ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٢ مايو سنة ١٩١٠ الساعة ٤ مساءً انعقدت هذه الجلسة وتلي تقرير الخبراء وترافعت النيابة وأخذ الدفاع في سبيل بيانه =

## تحية العلم<sup>(١)</sup>

### إلى رئيس الحزب الوطني

هوى « اللواء » فصاح بعده « العلماء »  
وسر به في حمى القطرين معتصما  
لك القلوب جنود لا يزحزحها  
عن موقف النصر خطب هان أو عظما  
هواك في سرها المكنون مستتر  
فأينما كنت كان الحب مرتسما

وتقديم حججه وبيدات آيات. وكان الحكم في مساء يوم الثاني . الجمعية فقضي برحالة أوراق القضية عني مفتي المدير نصرية تمهيدا للحكم بالإعدام فأفتي بعدم توفر شروط لشرعية مسوغة لإعدامهم .  
وبما أن رايه استشاري ليس إلا فقد سمعته لمحكمة ولكنها حكمت بالإعدام في جنستها المنعقدة في صباح يوم الأربعاء وجمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٨ مايو سنة ١٩١٠ فتقبلت منهم سماع هذا الحكم بربطه حاش وبتسام كما هي عادته في جميع أدوار نقضيه وكان حين ذلك واتدأ بأمر المحكمة وبعد ذلك قدم الدفاع أوجه النقض وتعددت جلسة النقض برئاسة المستر بوند الذي لم يفد طعن المتهم في رياسته هذه الجلسة مع أنه من قصة دنشوي التي كانت مسائلتها من أسباب قتل رئيس لنظار فحكمت برفض طلب النقض صباح السبت ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ - ١١ يونية سنة ١٩١٠ وأصبح إبراهيم أفندي ناصف الورداني الآن تحت رحمة الله فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) حدث ما حدث بين ورنة مرحوم مصطفى كامل فادى الأمر أخيرا إلى حكم قاضي الأمور المستعجلة في المحكمة المختلطة بتعيين حرس قضائي على شركة « اللواء » يوم الأحد ٢٧ فبراير سنة ١٩١٠ ولما حل هذا الحارس بدار « اللواء » في اليوم الثاني أراد أن يتدخل في شأن التحرير فعارضه رئيس الحزب الوطني فريد بك محتجا بأن له وحده الإشراف على تحرير « اللواء » الذي كان حينئذ لسان حال الحزب، وقد اشتد الخلاف وانتهى في مساء هذا اليوم بقرار من الحزب الوطني يقضي بأن « اللواء » لم يصبح لسان حاله وقد نشرت الصحف هذا القرار في اليوم التالي « لثلاثاء أول مارس » وأندر « اللواء » به بواسطة المحكمة وانسحب من إدارة سياسته . لدكتور منصور رفعت وامتنع المحررون عن العمل واستقالوا حينما رأوا أن « اللواء » أصبح جريدة أشخاص ولم يعد تلك الجريدة الوطنية التي كانوا يخدمون بها مبادئ الحزب الوطني، وقرر الحزب إصدار جريدة تكون لسان حاله باسم « العلم » تصدر في الصباح مؤقتا وأخذ في إعداد عدتها وتأليف شركها، وقد تم أمرها وصدرت صباح يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٢٨ - ٧ مارس =

أنى رأيت الهوى العذرى<sup>(١)</sup> منهزما  
 لم يبق حبك قلبا فى البلاد له  
 يا أيها القائد المشهود موقفه  
 قف وقفة رهب العادى مشاهدا  
 أين «اللواء» الذى أبقاه صاحبه  
 هل يحسب النفر المشوم طالعه  
 والله يعلم أنا لا ينهنهنا<sup>(٢)</sup>  
 فما لأصواتهم فى مصر منكرة  
 قضا على مصطفى من بعد ما بقيت  
 وصوبوا السهم فارتدت به يدهم  
 ماتوا ومات «اللواء» من بعد صاحبه  
 وكم يد عبثت بالأمر خائنة  
 فقطعتها يد الاخلاص وانتشرت  
 وسلم الله حزبا أنت قائده

لما رأيت الهوى المصرى محتكما  
 وجد على غير مصر بات مضطرا  
 لا بات جندك يوم النصر منهزما  
 واشرح لمصر حديثا كان مكتما  
 للحزب حصنا فكان اليوم منهما؟  
 أنا بما صنعوا نستدبر الهمما؟  
 وقع الخطوب إذا ما جل واحتما  
 وما لوجه «اللواء» الكنود ملتطما  
 ذكرى «اللواء» تناجى بعده الإمام<sup>(٣)</sup>  
 إلى نحورهمو تستقبل العدما  
 وأمطر الله قبراً ضمهم رجما  
 وأرسل الجبن من أغلالها كرما  
 حمر الدنانير دمعاً قانئا ودما  
 من قائد جار بالعدوان واحتكما

= سنة ١٩١٠ فقابلتها الأمة بالقلوب قبل الأيدي وأحلتها محل «اللواء» بل أنها كانت خيراً منه فى خير أيامه وقد حبيتها بهذه القصيدة التى نشرت بالعدد الأول منها، وما أذكره هنا بالأسف أن «اللواء» بعد انفصال الحزب عنه أصبح أكثر الطاعنين فى رئيسته ولجنته الإدارية وخير رجاله وكتابه فلاقى من الأمة ما يستحق من الالهال والاحتقار.

(١) الهوى العذرى منسوب إلى بني عذرة قبيلة من العرب كثر فيها موت العاشقين لما اشتهر به أهلها من الجمال والعفة.

(٢) يمنعنا ويردعنا.

(٣) أى أنهم ظهروا بمظهر المتفاني المتعالى فى حب ومدح مصطفى كامل ولكنهم فى الحقيقة كانوا ألد أعدائه بما أعلنوه من الحرب الهوجاء على الحزب الوطنى ورجاله المخلصين العاملين حتى قضاوا على «اللواء» وهو الأثر الأعظم لمصطفى كامل، فصدق القائل: «عدو عاقل خير من صديق جاهل».

---

إنا لنعلم سرا أنت تعلمه  
أهلا بطلعته الغراء مشرقة  
أنى أحبى لسان الحزب عن كذب  
فهل درى النيل فى القطرين أن له  
وهل رأى الشرق ذاك النور منبعثاً  
لازال فى مصر خفاقا يؤيده

فدع حديث اللوا، واذكر لنا العلماء  
على البلاد تحبى السيف والقلم  
والمح النيل فى السودان مبتسما  
فى طلعة «العلم» المأمول مغتتما؟  
وأدرك الشعب من آياته حكما؟  
روح السلام إذا ما حادث دهما



## إلى العلم بعد شهرين<sup>(١)</sup>

حجبوه شهرا بعد شهر  
ما كان قبل حجابيه  
حتى غدا بعد الحجا  
شهرين يخفق في الصدو  
برح الخففاء ويات يد  
وبدا تصافحه القلو  
انشـر لنا مما طويد

وسناه بين الشعب يسرى<sup>(٢)</sup>  
متكلما إلا بقدر  
ب محدثاً في كل أمر  
ر مناجياً سرّاً بسر  
رى أمره من ليس يدري  
ب فمرحباً بلواء مصر  
ت فإننا عشاق نشر

(١) ما كاد يمر على «العلم» اثنا عشر يوماً ويصدر منه أحد عشر عدداً حتى صدر يوم السبت ١٩ مارس سنة ١٩١٠ قرار من مجلس النظار يقضي بتعطيله شهرين كاملين بدعوى أنه خرج عن حد الاعتدال «في دفاعه عن الثمانية الأبرياء» وعمل على تكدير صفو العلائق بين الأمتين «مصر وإنجلترا» بطعنه في عمل مستشار إنجليزي، وكان هذا القرار باكورة أعمال الوزارة السعيدية فاضطرب له الشعب اضطراب أسف وتالم وأصدر الحزب جريدة «الاعتدال المصري» الأسبوعية في موعد صدور «العلم» من اليوم التالي الأحد، ولكن الداخلية أرادت منعها من الظهور يومياً لأنها أسبوعية، فأصدر الحزب في اليوم التالي الاثنين جريدة «الشعب» بدل الاعتدال ولكنها أسبوعية أيضاً، وقد رخص للاعتدال بثلاثة أيام في الأسبوع وصدر بعد «الشعب» يوم الثلاثاء وتلاه يوم الأربعاء «العدل» وهو جريدة أسبوعية مقرها مدينة طنطا، وجاء يوم الخميس فصدر «الاعتدال» أيضاً، وكان صاحب «الشعب» قد استبدل رخصته الأسبوعية بأخرى يومية بعد إجراء ما يقضي به قانون المطبوعات فصدر في اليوم التالي الجمعة ٢٥ مارس واستمر يومياً حتى عاد «العلم» بعد انقضاء الشهرين يوم الجمعة ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ٢٠ مايو سنة ١٩١٠ وقد أقبلت الأمة على كل جريدة كان يصدرها الحزب إقبالا عظيماً وظهر الحزب بمظهر الحكمة والكياسة في سياسته.

(٢) السنن النور والمعنى أنهم وإن كانوا حجبوا «لعلم» إلا أنهم لم يحجبوا ضيائه السارى بين الشعب الذى يشترك في معنى لفظه الأمة والجريدة المسماة بهذا الاسم «الشعب».

لا نعرف السر الذي      زعموه مجلبة لشر  
إن الصراحة بيننا      يجلو هداها كل فكر

\*\*\*

يا أيها العلم الأمين      على سريرة كل صدر  
للحزب أنت لسانه      تجرى بما يرضاه يجرى  
كم حادث هتك الستور      رغداة كنت حليف ستر  
حجبوك حتى ينقضى      ما كان من نهى وأمر  
فبدت خلائق حكمهم      للناس من زيد وعمرو  
وقضى بما شاء الهدى      قاضي الإحالة خير بر  
خرج الثمانية الكرا      م مكللين بتاج فخر  
فاهناً فأنت نصيرهم      والله ناصر كل حر  
وإذا تصيبك مساءة      فاصبر ليسر بعد عسر  
ودع القضاء وذكره      في كل معروف ونكر  
حسب القضاء ذكر الزما      ن بما يضيق لديه ذكرى  
والله دون سهامه      يهب الكنانة يوم نصر  
يا مصر يوم النصر آ      ت فارقبي اشراق فجر



## روزفلت (١)

### بعد خطبته في الجامعة المصرية

لعمرك لست بالرجل الهمام  
كرام الناس أصدقهم حديثا  
فمالك لم تقم في النيل إلا  
أراك ترى البلاد بغير عين  
كأنا دون قومك في المعالي  
رويدا يافتى التاريخ إنا  
جمعنا الدين والدنيا وكنا  
فمن أنتم إذا افتخرت شعوب

إذا عُد الهمام من الكرام  
وأبعد عن أكاذيب اللئام  
لتسمعنا أباطيل الكلام  
رأيت بها بلادك منذ عام  
ودونك في اليراعة والحسام  
لنا خطر (٢) على الأيام نام  
أساتذة الورى من عهد سام (٣)  
بمجد في ذرا الأهرام سام؟

(١) اتخذ الإنجليز رئيس الولايات المتحدة السابق المستر روزفلت مبعثراً بسياساتهم الاستعمارية وانتهزوا فرصة سياحته بأفريقية فأوجوا إليه ما أوجوا فقام في مدينة الخرطوم بالسودان بعمل التبشير خير قيام في خطبة ألقاها هناك ولما جاء إلى القاهرة وفي بوعده لجامعة المصرية وخطب فيها يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٢٩ مارس ١٩١٠ خطبة قوبلت من الأمة بالاستياء العام والاحتجاج الشديد والاحتقار العظيم فإنه حكم عليها في ساعات قضاها بينها في الفندق حكما جائرا رماها فيه بالعجز والخيانة والجهل والتعصب وعدم الأهلية لنيل الحكم الذاتي، وقد زاد السخط على الجامعة حينما منحته بعد خطبته لقب دكتور جزاء سبه وطعنه فيها وفي سائر الأمة وهو أول لقب منحته هذه الجامعة ومن الغريب أنها لا تملك حق هذا المنح، ولم تبلغ درجته بعد، وقد احتجت الأحزاب وخطب الخطباء وكتب الكتاب في الرد على هذا الضيف الثقيل وقامت مظاهرة استياء ضده أمام نزلة «شبرد»، وقد سافر في الساعة ١٠ من صباح يوم الأربعاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٠ فلقى بالإسكندرية مظاهرة أشد وأكبر من الأولى ونودي بسقوطه مرارا وسارت الجموع الهائجة به وراءه من المحطة إلى أن لاذ بالباخرة، وهناك هطلت عليه رسائل الطعن والاحتجاج من جميع طبقات الشعب، وقد غادر مصر كما دخلها بغيبضا مردولا.

(٢) منزلة وقدر. (٣) هو أبو العرب.

لنا ما كان من مجد تليد<sup>(١)</sup> وما كنتم هنالك فى الأنام  
 فىن شئتم سلوا التاريخ إنا وإن شئتم سلوا عنكم كولمبو<sup>(٢)</sup>  
 وفى الإسبان آيات عظام لقد كنتم لأهل الأرض نهبا  
 وكان الإنجليز لكم رؤوسا ألم يدعوا ذمامكم مباحا  
 وقد ساموكم الخسف اعتسافا فقام وشنجتون<sup>(٤)</sup> يقود منكم  
 فأدرك ما يرجيه وأجلى ووالاه جفرسن<sup>(٦)</sup> مستذلا  
 أعز بحكمه الوطن المفدى نأت عنه عداه واستقلت  
 وما كنتم هنالك فى الأنام أضأناه وأنتم فى ظلام  
 يخبركم بما قالت حذام تذكركم بآيات عظام  
 وكانت أرضكم أرض اغتنام فهل رفعوا لكم هام<sup>(٣)</sup> احترام؟  
 لرواد الخصام والاحتكام وقادوكم إلى المرت الزؤام  
 ليوثنا للنجاة والانتقام أعاديكم بجالية السطام<sup>(٥)</sup>  
 بسطوة عزه صعب المرام وأصبح منه فى حرم حرام  
 بلادك بعسد يأس وانهزام

(١) قديم .

(٢) هو خرسنوف كونيو مكتشف أمريكا سنة ١٤٩٢ ميلادية وهو إيطالى المولد دخل فى خدمة لحكومة

الإسبانية فى هذه السنة وسار إلى أمريكا فتم له اكتشافها . (٣) رؤوس

(٤) هو محرر أمريكا ومخلصها من يد الإنجليز واحد موجودى جمهورية الولايات المتحدة وأول رئيس لها

تولى الرئاسة من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٧٩٧ وولد سنة ١٧٣٢ ومات سنة ١٧٩٩ وهو الذى علم أكثر

شبان المنضمين إليه فى محاربة الإنجليز طرق القتال والدفاع حتى انتصر على أعداء بلاده وقهرهم .

(٥) حد السيف .

(٦) هو توماس جفرسن ثالث رؤساء الولايات المتحدة ولد سنة ١٧٤٣ وتوفى سنة ١٨٢٦ وقد كان من خير

الرؤساء وأشدهم غيرة على البلاد وعملا على حريتها واستقلالها وهو من الذين انشؤوا الحزب الجمهورى

وتولى ريسته زمانا .

وأصبح مجدها مجداً طريفاً<sup>(١)</sup> يطاول مجد مصر والشام

\* \* \*

أراك وقد جهلت فليت شعري  
تهب فترسل البهتان فينا  
فهل أعداك طبع الوحش حتى  
خطبت ولقبوا من غير علم  
لعمرك إن كوكا منك أولى  
نراهم كـذبوه ولا نراه  
ولكننا نراك وأنت تلقى  
كلا الرجلين مختلق ولكن  
فلا تنقم علينا بعد هذا  
ودونك من بنات الشعر بيتا  
خطبت فكنت خطباً لا خطيباً

أباغى الحرب أنت أم السلام؟  
وترميننا بطائشة السهام  
عبست وأنت فى دار ابتسام<sup>(٢)</sup>  
فكانت رمية من غير رام  
بالقاب الدكاترة الفخام<sup>(٣)</sup>  
روى ما قال عن حزب الخصام  
علينا ما رويت عن الطغام<sup>(٤)</sup>  
أري روزفلت أخلق بالملام  
وأكبر ما نروم من المرامي  
رواه النيل عن رب الكلام  
أضيف إلى مصائبنا الجسام<sup>(٥)</sup>

(١) جديداً.

(٢) لأن روزفلت جعل رحلته هذه مجزرة للوحوش حتى لقبوه بأنه « جزار أفريقية ».

(٣) هو الدكتور كوك الأمريكى الذى ادعى فى هذا العام أنه اكتشف القطب الشمالى فضح العالم بذكره وقابلته الأمم التى مر بها فى عودته إلى أمريكا بالترحاب والاحترام ولكنه ما لبث أن ظهر كذبه للعالمين فلقى من الاحتقار والاهانة ما لقي وطرد من الأندية والجامع العلمية وأصبح أضحوكة الناس وسخرتهم ولكنه على كل حال خير من روزفلت الذى أصبح فى مصر دكتوراً بما رواه لنا من المطاعن والمثالب التى رمانا بها صنائع الإنجليز من أبناء البلاد وأعدتها الخائنين وأوحوا إليها بها فحكاها كما هى.

(٤) الأوغاد الأدياء.

(٥) هذا البيت لشوقي بك شاعر الأمير.

## إلى خطيب جلد هول (١)

ماذا تحاول يا روزفلت من خطب  
إن الكنانة قد أصمتك (٢) أسهمها  
عرضت نفسك للغارات مدرعاً  
وقمت في جلد هول معجبا ثملاً  
هم يهزءون بما تهذى بحسبهمو  
وقال ما قال عن حمق وعن حنق  
ترمى بها مصر عن حقد وعن غضب  
فكيف تدفع سهماً ريش (٣) بالعطب؟  
في موقف الحق بالبهتان والكذب  
فكنت في كل معنى موضع العجب  
أن الرئيس تحامى خطة الأدب  
ورام مصر عروس الشرق بالحرب

\*\*\*

يا أيها الواغل العادي على بلد  
أقبل إلينا فأن الشعب مضطرم  
هذى يد لو رآك اليوم صاحبها  
لو أنصفتك رماك النيل بالحرب  
وجدنا عليك فلا تدبر ولا تهب  
لصافحت نارها مستودع الخطب (٤)

(١) جلد هول اسم دار بلدية لندره وقد كان لروزفلت فيها موقف يوم ٣١ مايو سنة ١٩١٠ انتقم فيه لنفسه من مصر وطعن فيها ما شاء وشاءت سياسة الاستعمار ولكن جرائد الأحرار في إنجلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها أزررت به واستهجنتم عمله وتفانيه في الإعلان عن نفسه طبياً للشهرة الكاذبة وقضاء لمآربه الشخصية من مستعمري الإنجليز.

(٢) أصممه السهم أصابه فقتله.

(٣) ريش السهم ألصق عليه الريش.

(٤) مستودع الخطب هو رأس الخطيب.

## نهضتنا النيابية بعد رفض مشروع القناة

ماذا يقولون عنا بعد ما شهدوا  
وأبصروا الشعب يسرى لا يروعه  
إن الحوادث في القطرين منذرة  
كم حادث مر في السودان يتبعه  
لو أنصفوا غادروا مصرا وجارتها  
وأطفأوا اللهب الجارى مع النهر

\*\*\*

هل جاءهم نبا النواب إذ رفضوا  
عبد اللطيف (١) وإسماعيل (٢) فى ملأ  
وأصبح الشعب معتزا بنصرتهم  
أن ينكروا بعد هذا اليوم نهضتنا  
مشروعهم بسديد الرأى والنظر  
من الكرام أداروا دفعة القدر  
يتيه منتصراً فى إثر منتصر  
ففى غد تلتقى الأعمال بالفكر



(١) هو عبد اللطيف بك الصوفاني أحد نواب مديرية البحيرة في الجمعية العمومية فقد كان له بين النواب موقف كخير مواقف النواب الأحرار في الامم الدستورية الراقية أعجبت به الأمة واثنت عليه ومجدهته .  
(٢) هو إسماعيل أباطة باشا النائب المدرب والخطيب المفوه في مجلس الشورى كما تقدم .

## حديث الجناب العالى (١)

ماذا روته «الطان» هل ذلك الذى  
كانت تسطر أمس قولاً ناطقاً  
مالى أراها اليوم نحمل آية  
أنا على العهد القديم وإن تغى  
أبداه عن مصر أمير النيل؟  
بهدى الأمير ووعده المأمول (٢)  
ما كان أحوجها إلى التبديل؟  
ر بالحديث وشف عن تحويل



(١) حادث المسيو جان رود مندوب جريدة «الطان» الباريسية سمو الخديوي قبل مقتل بطرس باشا غالى في شؤون البلاد مالياً وإدارياً فأبدى نه سموه فيما أبداه أن جماعة المتسرعين «يعنى الوطنيين» الذين يحاربونه فى جرائدهم ويلحقون ويلحفون فى مطالبهم هم الذين يؤخرون زمن الإصلاح ويسيشون إلى البلاد وقد أثنى على المعتمد البريطانى السير غورست والدولة لختلة ثناء جزيلاً وامتنح الوزارة ورئيسها السابق مدحا عظيماً وأمل انقاذ مشروع القناة وموافقة الجمعية العمومية عليه لما فيه من فائدة البلاد، وقد ورد هذا الحديث بعد مدة قتل فيها الرئيس ورفض مشروع القناة وتغيرت حالة البلاد فنشرته جريدة «العلم» مترجماً يوم الاثنين ١٥ ربيع الثانى سنة ١٣٢٨ - ٢٥ أبريل سنة ١٩١٠ وردت عليه بما يستحق.

(٢) إشارة إلى حديث سمو الخديوي مع مندوب سابق من «الطان» نفسها فى أواخر أيام كرومر بمصر زمن اشتداد سياسة الخلاف فإنه كان حديثاً كله أمل وتشجيع للوطنيين بل كان كوعد صريح باعطاء مصر الدستور بالرغم من العميد وأعوته أعداء الأمير، ولكن كل يوم هو فى شان.

## القوانين الجديدة<sup>(١)</sup>

إن القوانين الجديدة  
نار القلوب أشد من  
والضغط لا يجدى سوى  
فليحذروا وجد النفوس  
ليست كما زعموا رشيد  
نيران شدتها المبيد<sup>(٢)</sup>  
إظهار ما تخفى العقيد  
س ليأمنوا شر المكيد<sup>(٣)</sup>



(١) أوحى الاحتلال بعد الحوادث الأخيرة بقوانين جديدة إلى الوزارة يريد بها معاملة الأمة بالشدّة والصرامة وعقوبة الطلبة حينما يشتركون في المظاهرات الوطنية، ومحاكمة الصحافة على جنحها أمام محكمة الجنايات، وقد عرضت «رسمياً» هذه القوانين على مجلس الشورى فأبدى رأيه فيها وأدخل عليها التعديل النافع الذي امتدحه ناظر الحقانية «سعد باشا» ووعد بإحلاله محل الاعتبار ولكننا ما لبثنا أن رأينا تلك القوانين صدرت كما هي ونشرتها الوقائع المصرية يوم الاثنين ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ - ٢٠ يونيو سنة ١٩١٠ وسيعمل بها بعد ١٥ يوماً من هذا النشر أرادت الأمة أو لم ترد رضى الشعب أو غضب، ومن المصائب أن الحكومة أخذت في هذه الأيام تصادر المظاهرات وتجارب الاجتماعات وتهاجم دور التمثيل وتحرم الخطب وتنشر الجواسيس الجهلاء وتعيد لمصر عهد الآستانة في أيام الاستبداد ولا تحسب للعاقبة حسابها.

(٢) المهلكة.

(٣) لا ريب أن هذه الأعمال الظالمة إنما هي مكيدة مدبرة يريد الإنجليز بلها بلوغ أربهم من مصر، وما هم بالغبية، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

## النشيد الوطني (٤)

نحن للمجد نسير ولنا الله نصير  
ليس يثنينا نذير عن بلاد تستجير  
وعهاد في حداد

كيف نرضى بالممات وزمان الموت فمات  
إنما الدستور آت فعلينا بالثبات

عند آمال البلاد

نحن للمجد نسير الخ

نحن شعب لا نضام قبل أن نلقى الحمام  
فعلينا النيل السلام من فتاه المستهام

يوم يقضى في الجهاد

(٤) لكل أمة من الأمم الراقية نشيد وطني عام يرويه الصغير عن الكبير، ويحفظه العظيم والحقير، والغنى والفقير، وتشارك في ترتيله والتغني به عامة الشعب وخاصته على السواء وأظهر ما يكون من شأنه في أوقات المظاهرات وفي الحفلات والمواسم الوطنية ونحوها بل أنه ليلعب من أمره أن يكون تأثيره في الفرد كما يكون في الجماعة فتري الوطني يذكره في خلوته كما يذكره بين عشيرته وأمته فيبعث فيه روح الحماسة والوطنية ويشجعه على اقتحام المصائب ومقارعة الخطوب في سبيل الوطن العزيز كما يثبت الجنود في مواقف النصر، ويبث في نفوسهم حب المحاربة والاقدام والاستهانة في الدفاع والنضال، ولقد تقدم في صدر هذا الكتاب كلام كثير في موضوع الأناشيد وما يتعلق بها، وإنني تياماً بحق الوطن علي قد نظمت هذا النشيد الدستوري السلمي، راحياً أن يكون مصر ما لغيرها من الأمم في هذا السبيل وأن يكون نشيدي هذا النشيد الوطني لعام، فقد وضعته من بحر سهل التلحين وقاربت بينه وبين أفهام الشعب علي اختلاف طبقاته وأرحمت وجداني بإداء هذا الواجب الوطني المقدس والله ولي التوفيق.

نحن للمجد نسير الخ

فى هوى النيل السعيد      ميت القوم شهيد  
ذكره حى جديد      يومه للشعب عيد  
فيه ذكرى للرشاد

نحن للمجد نسير الخ

مرحبا بالفوز لاح      وانجلي ليل الكفاح  
وشدا طير الصباح      أدرك الشعب الفلاح

وقضت مصر المراد

نحن للمجد نسير      ولنا الله نصير  
ليس يثنينا نذير      عن بلاد تستجير

وعباد فى حداد



## متفرقات فى هدى وضلال

### آية السرور<sup>(١)</sup>

بشفاء سمو الامير محمد عبدالمنعم ولى عهد الأريكة الخديوية

لتهناً بلاد النيل وليسعد الملا  
وها هو يوم البؤس بالبؤس قد مضى  
فمن شاء فليدرك أمانى نفسه  
وهل بعد إبلال<sup>(٢)</sup> الأمير محمد  
أمير له الأيام ألفت زمامها  
وما ضره أن بات وهو ابن تسعة  
لقد خلقت فى موطن الفضل نفسه  
ومن يكن العباس أكرم والد  
أولئك قوم مجد الله جدهم<sup>(٣)</sup>  
فقد بلغت مصر الرجاء المؤملا  
وها هو يوم اليمن باليمن أقبلا  
فقد غمرت أرجاء مصر يد العلا  
ترى النفس تشكو علة أو تعللا  
فأمسى من الأيام للناس موئلا  
وبات له الملك العزيز مذللا  
فما وطنت إلا الفضائل منزلا  
له كان للإفضال أكرم منهما  
فما أنجبوا إلا الذى ساد واعتلى

(١) نشرت هذه القصيدة بجريدة «المؤيد» يوم الأحد ٢٥ شوال سنة ١٣٢٥ - ١ ديسمبر سنة ١٩٠٧ بمناسبة شفاء ولي العهد من مرض ألم به وكذلك نشرتها «الجوائب المصرية».

(٢) شفاء.

(٣) هو محمد علي الكبير رأس هذه الأسرة وأول وال مصر منها.

تهاب الليالى من تصرفه البلى  
تكاد الرواسى منه أن تنقلا  
أشاروا إليه بالبشاشة فانجلي  
تلقوه بالإحسان أو يتهللا  
تحول الليالى وهى لن تتحوللا

كرام لهم فى مصر ملك مؤيد  
وإن لهم يأساً شديداً إذا بدا  
على أنهم إن أبصروا هول حادث  
وإن ساءهم وجه من الدهر عابس  
ملوك لهم فى كل قلب مكانة

\* \* \*

وشادوا لهم فوق السماكين معقلا  
ترى كل يوم فى حياتك مأملا  
عليك سوى ثوب السعادة مسبلا  
لها الله واق<sup>(١)</sup> أن نبا الدهر أو قلا<sup>(٢)</sup>  
أفاضت يدهاه فى البلاد التفضلا  
خصيبا فلا يشكو افتقارا ولا غلا  
مضى فمضت بالفوز فى موقف الجلا  
وفيهما ترى الإخلاص روحا ممثلا  
لنفس منهاها منك أن تتقبلا

فيا ابن الألى سادوا البلاد وأهلها  
شفاؤك إحياء لآمال أمة  
فعش بعد ذاك اليوم ما شئت لا ترى  
وفز بسلام الله بين عشيرة  
ولا زلت معتزاً بأفضل والد  
ولازال وادى النيل فى ظل عرشكم  
وعادت بكم مصر إلى عهدتها الذى  
وإنى إليك اليوم أرفع آيتى  
ولست أرجى غير إبداء خاطر



(١) حافظ .

(٢) ابغض .

## آية العزاء<sup>(١)</sup>

هوى من سماء الفضل تركها الأسمى  
أغار عليه الموت قبل زمانه  
وراح وأبقى في النفوس عواظفا  
ولولا الهدى ما قلت مات وإنما  
رأى عالم الأرواح أرى بنفسه  
ومن كان ذا نفس بعيد مرامها  
هناك هناء النفس في خير عالم  
ألا فليمت من كان نهما كعاصم  
دهتنا الليالي بغتة بمصابه  
وناحت بنو مصر عليه وإنه  
بكته المعالي في معاهدها وما  
فمن ذا الذي يقصى إرادته إذا  
ومن ذا الذي يحيى الرجاء بأمة  
ومن ذا الذي إن نارلتها ملمة  
ومن الذي للبائسين يعولهم  
مضى ذلك الندب<sup>(٢)</sup> لهمام ولم يدع

فلم تر عين بعده في العلا نجما  
فغادر منعاه بكل حشا سهما  
أقامت له في كل ذاكرة رسما  
نأى كرما عن عالم ألف اللؤما  
فجاد بها طوعا ورام لها النعمى  
فإني أرى هذا الوجود له ظلما  
فلا هي تخشى فيه ظلما ولا همما  
وهيهات أن يلقي الردى مثله شهما  
فقال الأسي من كل عاطفة قسما  
لهم كان غنما كلما حسبوا غرما  
بكت إذ بكت إلا الفضيلة والعلماء  
أراد ولا يخشى القضاء إذا حما  
قضت حكم الأيام في موتها حكما  
أشارت إليه فانتنت حربها سلما  
ويدفع عنهم بأسه الضيم والعدما  
لنا إذ مضى إلا الكآبة والسقما

(١) نشرت هذه القصيدة بالمؤبد يوم الخميس ٨ شوال سنة ١٣٢٥ - ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ بمناسبة وفاة

المرحوم المبرور حسن باشا عاصم رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية.

(٢) الخفيف في الحاجة.

فلا لوم فالحزون لا يعرف اللوما  
فلا عجب أنا فقدنا الهدى الجما  
فلا والد أولاه مجداً ولا أما  
من المجد تعنو<sup>(١)</sup> دونها الهمة العظمى  
فمن رام إسعاد البلاد بها انتما  
إذا جد جهل الدهر عاد به حلما  
وواصل في آثاره الحزم والعزما  
فأنسى اليتامى من مكارمه اليتما  
يحيط به التابن نثرا ولا نظما  
وما ظفرت عيني برؤيته يوما  
على فقدته هاجت لواعجبها الهما  
وفى النفس أشجان ترد الهنا غما  
وأندب منه الجدر والصدق والفهما  
شآبيب رضوان وأمطره رحما<sup>(٣)</sup>

فإن نحن عشنا عاكفين على الأسى  
وإن نحن أصبحنا ولسنا على هدى  
فقدنا عصامياً تعالی بنفسه  
على أنه بالجهد أحرز غاية  
وخلد في الإصلاح آيات حكمة  
وكان إلى الخيرات أول سابق  
وكم وصل الآمال بعد انقطاعها  
ورد لنا عهد الإمام<sup>(٢)</sup> الذى مضى  
مناقب لا تبلى محامدها ولا  
وأنى لأبكيها وأبكى فقيدها  
ولكننى أبصرت فى مصر لوعة  
فأمسيت أرثيه كما شاء خاطرى  
وأنى لأرثى فيه مصر وأهلها  
سقى الله رسماً ضمّه فى عشية



(١) تخضع.

(٢) هو الاستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس هذه الجمعية.

(٣) الرحم بضم الراء وسكون الحاء وكذا بضمهما بمعنى الرحمة.

## فتنة دمياط الدينية<sup>(١)</sup>

اصبر لخطب الدهر غير مضضع  
واترك عداك فانهم أن يشمتوا  
ما الدهر إلا ساعتان فهذه  
فإذا لقيت من الزمان وفاءه  
ما ضرني أنى لجأت إلى حمى  
إن كنت ادفع باليراع كريهة  
وإذا رماك بما يسوءك فاخضع  
بك ساعة رجعوا بما لم ترجع  
يمن وتلك لبؤسه المتوقع  
يوما فلاق الغدر غير مروع  
هو ملجأ الأوطان يوم المفزع  
فالآن ادفع باللظى والمدفع

(١) حدث في شهر مايو سنة ١٩٠٧ خلاف بين علماء الدين في ثغر دمياط أدى إلى فتنة دينية اشتعلت نارها بتداخل العوام فيها ورفع أمرها إلى مشيخة الأزهر وسمو الخديوي وكاد يستفحل خطبها بتحريض العلماء ذوى الأنكار العتيقة البالية الجهلة والسفلة على إيذاء مخالفينهم من المصلحين ومازال الجهل والحق يقودان حزب الضلال حتى استدعت مشيخة الأزهر من دمياط العالم الذى جهر بالحق وشنع على صناديق منذور والتوسل بآرباب القبور ونفى قول القائلين بالخطوة للأولياء.. واتعقد مجلس الإدارة لمحاكمته فكان الحكم من عمل الشيطان وهو يقضي بمنع هذا العالم من التدريس ويقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة يقدم شيخ علماء دمياط في آخرها شهادة للمشيخة بحسن سلوكه.. وقد كنت إذ ذاك محرر الجريدة «الجوائب المصرية» فتنبعت هذه العتنة للشعواء واخذت اكتب واستكتب غيرى من الكتاب منتصرين للحق محاربين الباطل فكان قولي ثقيلاً على المبطلين فدبروا لى مكيدة تريحهم من سماع صوتى وتكون انتقاماً منى وعقاباً لى على حملتى التى شاركنى فيها كثيرون من مصلحى الامة وفضلاتها وأيدونى فى موقفى تأييداً عظيماً، اما هذه للمكيدة فهى ادخالى الجيش بدعوى أننى عوفيت من القرعة العسكرية لطلب العلم ولم انض المدة القانونية بعد المعافاة بدون اشتغالى بحرفة سواه، فقدموا إلى الحربية مطاعتهم وأمطروا على إدارة القرعة رسائلهم وأخذ التحقيق دوراً يعرفه من يعرف قانون القرعة واستبداد رجالها وغلظتهم فكانت النتيجة أنى «سجنت» بقشلاق العباسية «القشلاق الأحمر» اثنى عشر يوماً من ١٨ إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٧ تحت التحقيق ثم أطلق سراحى لأسباب قانونية بعد أن عرفت سوء الإقامة فى الجيش المصرى وأسباب النفور والفرار من وجهة، وقد نظمت قصيدة طويلة فى مدة «السجن» هذه خلاصتها.

والجهد في هذا وذلك مطلبى  
فليعلم الخصماء أنى قائم  
أصبحت «رب السيف والقلم» الذى  
فإذا حملت بصارمى يوم الوغى  
وإذا كتبت فنعمة أو نقمة  
أنا لم أجبى إلا بقول الله فى  
فإذا غدا القرآن مهجوراً ولم  
وغدا فقيه الدين بين الناس لا  
وتراه أن خاطبته مسترشداً  
وإذا رأى من عالم نور الهدى  
فعلى بنى الأسلام ألف تحية  
ما الرشد إلا ما رآه محمد  
إنى له تبع على رغم العدا  
وسيعلمون إذا اجتمعنا فى غد  
ياويل من عبدوا القبور وأشركوا  
ورأوا من العلماء تأييداً لهم  
ياقوم إن أولئك العلماء قد  
فإذا أرادوا فالحلال ممنع

وأنا على والمعالي أربعى<sup>(١)</sup>  
فى كل حال بالمقام الأرفع  
هزم العمائم يوم أضحت لا تعى  
غادرت من لاقيت غير مودع  
للعالم المفضال أو للمدعى  
تشريعه والله خير مشرع  
تعباً بحجته الشيوخ وتقنع  
يدرى ويحسب أنه ذا الألعى  
أو مرشداً أبدي جواب تنطع  
لاقاه جهلاً بالضلال الاسفع<sup>(٢)</sup>  
إن كان هذا من بنيه الركع  
ودعا إليه بالدليل الأسطع  
وهو لسبل الغى أغوى تبع  
من ذا يعود بحسرة المتفجع  
بالله بين توصل وتضرع  
فمضوا وما فطنوا لغى مبدع<sup>(٣)</sup>  
جعلوا الشريعة سلماً للمطمع  
أما المحرم فهو غير ممنع

(١) كلام اقتضاه مقام الجنديّة!

(٢) الأسود.

(٣) المبدع هو من ينسب إلى البدع.

القول قولهمو ونى رأبى إذا أن  
 فهلم نبذ رأيهم ونرى لنا  
 ونثن غارتنا عليهم كلما  
 حتى نردهمو إلى الإسلام أو  
 وهناك يصبح دين أحمد خالصا  
 ومعالم التوحيد تبدو بعدما  
 والله قد ضمن النجاح لنا فلا  
 يا قوم إن هداتكم ضلوا فقوم  
 وحذار أن تصفوا بقول معمم  
 ومشى يدل على اعباد كأنه  
 والله يعلم أن فى حركاته  
 أسفى على دين النبى محمد  
 من ذا يجيب دعاءه ودعاته  
 يامعشر العلماء أصبح دينكم  
 فإلى متى لا تعقلون وقد غدت  
 إنى نصحت لكم فلم ينفعكمو  
 وغدوت أرجو خيركم فرجوتمو  
 وقآمرت جهلاء دمياط علي<sup>١</sup>

قدنا لهم عدنا بسوء المرجع  
 رأيا تنزه عن فساد المنزع  
 شنوا علينا غارة المتجشع  
 نذر العمائم بالمقام الأشنع  
 لله لا للأولياء أربع<sup>(١)</sup>  
 طمست بشرك دعائه المتنوع  
 نلقى سوى النصر المبين المزمع  
 موا قومة فى وجه من لم يردع  
 حسب الديانة فى الرداء الأوسع  
 ملك الرقاب بزيه المستبدع  
 غشاً تستر فى ثياب تصنع  
 أسف توقد جمره فى أضلعي  
 لعبت بهم أهواؤهم فى مرتع  
 هدفنا لسهم الناقد المتتبع  
 أعمالكم أهدوثة المستفظع  
 نصحى وذنبى أنه لم ينفع  
 ضيرى بكل توسل وتذرع  
 نكاية وتشاورروا فى مجمع

(١) الأولياء الأربعة هم السيد أحمد الرفاعى والسيد عبدالقادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي والسيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنهم، وهم الأربعة الأقطاب الذين يرجع إليهم أمر الكون والتصرف فيه وكل ولى يستظل بلوائهم، كذلك قال الجهلاء.

سبل الهوى بتشجع وتطوع  
أن الهداية من خطاه بموضع  
حتى تجافى من أذاهم مضجعي  
ضربى وطعنى باليراع المشرع  
ت كما ذهبت بعزتى وترفعى  
إن الهدى كانت حقيقته معى  
أو يقمع النفس التى لم تقمع  
منكم وقلبي بينكم فى مربع  
وحبالنا موصولة لم تقطع  
إخلاص قلب فى هواكم طيع  
أنأى عن الأعدا وإن لم تهجع  
ما لاح بدر قصيدتى فى مطلع

واتتهمو علماؤهم يهدونهم  
ومشى أمامهمو إمام أيقنوا  
وتسابقوا نحوى بإيصال الأذى  
راموا دخولى الجيش لما أبصروا  
فدخلته مستبسلا حيننا وعد  
والآن لا أرجو سوى أن يعلموا  
والله يغفر ما جنوه بجهلهم  
ياأهل دمياط الكريمة إننى  
فعلام بتم تقطعون حبالنا  
إنى أمد يدي إليكم مهديا  
وأصافح النصراء والخصما ولا  
فعليكمو منى السلام تحية



( ١ ) قمعه واقمعه اى قهره وأذله .

## مصراع الباغي علي أمته

### الخائن لوطنه (١)

وحسام بغيك يفجع	ما زال سهمك ينزع <sup>(٢)</sup>
وفجعت من يتفجع <sup>(٣)</sup>	خنت البلاد وأهلها
ب ووجدها لا يهجع <sup>(٤)</sup>	وهجعت عن وجد القلو
فالدهر دونك يخدع	خدع ويلك لا تنم
ست وليس علمك ينفع	اليوم سعلم ما جنب
ب ولا ترى من يشفع	وغدا ترى حول الحسا
فيها تهيم وترتع	النار درت حبالدا
من لهم جهنم مرجع	وكذلك عقبى الخائني
ماذا دهاك وتسمع	خدع ؛ يلك هل ترى
«ولكل باغ مصرع»	صرعت غائلة الردى



- ١) سخيلا انشاء  
دي فضيلة ولتفند  
٢) أي يجذب لرمي  
٣) أي أوجعت من  
٤) أي لا ينام.
- من المعاني والصور ويخاطب ما شاء من الأشياء ابتغاء العظة أو الحكمة أو الحث  
أو غير ذلك من أغراض الخاطر ومرامي الخيال.  
نظمين.

## بين اللحظ والخال

لك أَلحَاط سكارى      أسقمت وهى سقيمه  
وبورد الخد خال      خلته فيه تميمه  
إن رمى النظر سهماً      نحوه صان أديمه  
أشبهت حبة قلبى      فى معانيه رقيمه  
إنما أنت غـرام      حل من قلبى صميمه  
ليس للأيام عندى      فى سوى حبك قيمه (١)



(١) كذلك تكون الحياة رخيصة والآمال صغيرة لدى بعض الشعراء بينما الوطن يشكو وبالم ولا يجد منهم ذاكراً ولا متوجعاً.

## في مرقص

ميلى على العاشقين ميلى  
وصوبى نحوهم سهاماً  
واشعلى النار فى حشاهم  
واطفىئى باللمى<sup>(١)</sup> لظاهم  
فيك القلوب تهيم حباً  
وإننى فيك مستهام  
ولا أهاب الردى إذا ما  
فيا حياتى فدتك نفسى  
بخصرك الأهيف النحيل  
من لحظك الناعس الكحيل  
من خذك الأغيد الأسيل  
فإن فيه شفا الغليل  
وما لحبك من بديل  
ولست أخشى من العذول  
صبا فؤادى إلى جميل<sup>(٢)</sup>  
فهل إلى الموت من سبيل<sup>(٣)</sup>



(١) للهمي سمرة جميلة في الشفة.

(٢) شجاعة كاذبة وحياة هينة .

(٣) نعم إلى الموت خير سبيل في الوطنية.

## الموت الكاذب (١)

تمنى أناس أن أموت صباة  
ولكن آمالاً تجول بخاطري  
فيا من أشاع الموت عنى فجأة  
ولو كان نجى فى يدي لقضيته  
وإنى من قبل التمنى لميت  
فتحيي فؤادى حينما يتفتت  
لعمرك إنى نحوه متلفت  
وغادرت عيشاً فيه أمرى مشتت  
إلى الله يمحو ما يشاء ويشبت  
ولكن ممت المرء مثل حياته



(١) نعاني « اللواء » الصادر يوم ١٠ فبراير سنة ١٣٠٧ بينما كنت حياً أرزق بدمياط فبادرت إلي تكذيب الناعي بهذه الأبيات .

## الموت المبتسم

أرى ابتساماً أم احتشاماً (١)      يغشى محياك أم حماماً (٢)  
بسمت للمرت في لقاءه      ورمت عند اللقاء التزاماً (٣)  
وجه الردى عابس ولكن      لديك يبتسم ابتساماً  
يا عاشق النيل هل تراه      عليك يضطرم اضطراماً؟  
قضيت ما رامه هواه      ونلت عند القضا المراماً  
فاهناً فإني أراك حياً      لك القلوب اغتدت (٤) مقاماً

إلى هنا انتهى في تحرير الجزء لأول من «وطنيتي» يوم الجمعة ١٧ جمادى  
الثانية سنة ١٣٢٨ - ٢٤ يونية سنة ١٩١٠ والحمد لله وصلى الله على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وحسبى الله ونعم الوكيل.

(١) حياء.

(٢) موتاً.

(٣) اعتناقاً.

(٤) أصبحت

## هجرتي

ملحق من إعداد كاتب الدراسة  
ويشتمل على بعض القصائد التي قالها الشاعر  
أثناء هجرته ورتبناها حسب تواريخ الأحداث.

أ.ح.ط

الوطن ١٠ من يناير ١٩١٢

قالت جريدة الوطن:

إثباتاً لأن ذلك الغاياتى كان فعلا من اليائسين البائسين عولنا على إثبات  
أبيات له، بعث بها إليها، ونشرناها له منذ بضع سنوات، عندما كان فى دمياط،  
وطلب للقرعة العسكرية وهى تدل على منتهى البؤس.

وسننشرها منقولة بالزنگراف ليقف القراء على خط ذلك الشاب الذى لعب  
عدة أدوار فى الصحافة المصرية.

وفى العدد التالى نشرت بالزنگراف القصيدة الآتية

إلى الله

حرية الشكوى بين العبد وربه

خلقت العبد وأرزاقهم فممنهم سعيد ومنهم شقى  
وقد ساء حالى بين الورى كأنى يا رب لم أخلق  
فأن أك عبداً فمن رازقى وها أنا لآن لم أرزق

\*\*\*

لئن ضقت ذرعاً فعفوا إذا نطقت فضل الهوى منطقى  
فإنك يا رب أنت الذى قسوت على ولم ترفق  
أراك غنياً ولكنى إذا رمت جدواك لم تنفق  
ولو شئت خيراً لأنقذتنى من الضير والعدم الخدق

---

ولكن.. وألهيتنى      من العيش بالأمل المخفق (١)  
وشكواى منك إليك وما      لعبدك غيرك من معتق

عبدالله الشاكي

ع.غ

---

(١) كلمة مطموسة، وهذه القصيدة قالها قبل فراره من مصر.

منبر الشرق ١١/٢/١٩٥٢

١٩٥٢/٨/٨

## هجرتى بعد وطنيتى

عندما وصل إلى الاستانة قال من قصيدة طويلة عنوانها «هجرتى بعد وطنيتى» .

وعند فراق الشجر أسبلت دمعة      ورب فراق أنكرته المدامع (١)

لئن كان غيرى قد عصته دموعه      فإن عصى الدمع عندى طالع

ولما قابل محمد فريد بك فى قهوة توفتليان، وكان ينظم فى هذه القصيدة

فقال فى ختامها ذاكرًا عبدالعزيز جاويش ومحمد فريد :

ولست أرى سجن الكرام مهانة      ولكنه للمجد والحمد جامع

فإن سجنوا عبدالعزیز فإنه      له بين حبات القلوب مرابع

فما لهمو والغیظ یفرى قلوبهم      جنیت فراموه بما أنا واضع

وراموا فريدا متله وترقبوا      لقاءه وفى هذا اللقاء مصارع

إذا كنتُ بالتأليفُ أصبحتُ جانيا      وسجنى عاما فيه للحر قامع

فما كان تقریظ الكتاب جنایة      ولكن أعداء البلاد تخادع

لقد حسبوها فرصة فتربصوا      عسى أن تروى الشعب تلك الزعازع

وما الشعب إلا صرهم جاد صقله      وكل سيجنى منه ما هو زارع

فلا بقيت فى جانب النيل أمة      إذا بقيت فى النيل تلك الفواجع

يقول الغاياتى «وقد نشرت هذه القصيدة العربية التى تبلغ ٨١ بيتا فى مجلة

«صراط مستقيم» التركية التى كانت تصدر حين ذاك بدار السعادة» .

(١) الشجر، هو نجر الإسكندرية.

## دعوة للقوة

نشر في صحيفة دار الخلافة بالعدد الصادر في ٩ رمضان ١٣٢٨هـ (١) قصيدة

مطلعها:

دار السعادة هل أتاك مخبر  
النيل من حمر المدامع فائض  
ومنها:

يا أهل مصر قفوا وصيحوا صيحة  
واقضوا بحد السيف حقا ناله  
إن امتشاق السيف أبلغ حجة  
والشعب ليس بمدرك آماله  
إن الدماء إذا غلت أسعارها  
وختامها:

دار السعادة أنت دار رجائنا  
دار السعادة طال ليل شقائنا  
إنا كرهنا العيش في أوطاننا  
للليل في البسفور أكبر مأمل

(١) يوافق ١٢/٩/١٩١٠ وعنوان القصيدة من اجتهادى، وهذا الشعر هو كل ما نشر في منبر الشرق من هذه القصيدة.

## عيد الكنانة عيد الأمير

نشرت جريدة الوطن خطاب على الغاياتي لها، وجاء فيه :

« .. أقدم إليكم قصيدتي في عيد الجلوس الخديوي، وقد ضمنتها ما اقتضاه المقام من إشارات تدور حول حوادث وطنيتي وغيرها، وإن لدى من الدلائل المؤيدة لها، والرسائل المتعلقة بها، ما يقطع لسان السفهاء، ويسجل الخزي والعار عليهم، وسأدع نشر ذلك لفرصة أخرى، والله يعلم أنني لا أحاول بذلك الانتقام لنفسى منهم، ولا إرضاء شهوتي الشخصية لأمر ما، ولكن ثمانية عشر شهرا قضيتها بعيدا عن سوء تأثيرهم، منها ثلاثة عشر شهرا في وسط أوربي راق، جعلتني أشعر بما كان مني من خطأ دفعوني إليه، وخطأ حرضوني عليه، فنبذتهم ظهريا بعد مفاوضات أشرت في القصيدة إليها، ولم أبال بما يكيدون لي، ويتقولون على، وهم الذين كان من أكبر همهم بث كراهة الجناب العالی في نفسى، وتحريضى على هجائه، والإساءة إلى سموه حفظه الله، حتى كان لسوء حظي شىء من ذلك في مصر وغيرها، أولئك هم النفر الذين فرقوا عناصر الأمة، وذهبوا بريبع الاتحاد من (١) يشير على الغاياتي إلى أن فريد بك والشيخ جاويش ليسا من أصول مصرية، أو أنهما من الدخلاء على مصر، وفريد بك جاء أجداده إلى مصر في أوئل العتق العثماني كما يقول عبدالرحمن الرافعي في كتابه عن محمد فريد، وجاويش قدم جده إلى مصر من جنوب تونس، كما يقول أنور الجندي في كتابه عنه، ومقولة الغاياتي لا قيمة لها لان أبناء الدولة الإسلامية « سواء أكانت أموية أم عباسية أم عثمانية » كانوا يتنقلون في أرجائها وفقا لرغباتهم ومعاشهم، والعالم كله تختلط فيه الأجناس، ونسب الغاياتي وهو يخاطب الخديوي بهذا في قصيدته ورسالته أنه، أي الخديوي، من أصل مقدوني أو تركي، أي دخيل على مصر، وكانه يوجه له إهانة دون أن يدري، وقد صار محمد فريد وجاويش وغيرهما مصريين لطول الإقامة ويدافعون عنها .

---

بنيها، أولئك هم شر البلاد، وويلها الأكبر، وهم الواغلون<sup>(١)</sup> «الدخلاء» بين  
بنيها، وقد انتهزت فرصة هذا العيد الكريم، ونظمت هذه القصيدة لتكون بمثابة  
الإقرار بالخطأ بعد الوقوع فيه، ولعل ذلك فضيلة يحمد صاحبها والسلام.

جنيف في ٣٠ ديسمبر ١٩١١

المخلص على الغياتي

## عيد الكنانة عيد الأمير

مولاي عيدك للكنانة عيد  
قد هزني بعد الجماء غرامه  
ماذا اعتذاري بعدما حكم القضاء  
والذنب كل الذنب ليس على فتى  
الشيخ يغضب إن حباك ثناءه  
ما سار إلا في سبيل هواهما  
ضل السبيل وكان يحسب أنه  
فتنته مصر بحبها لمضى على  
الحزب يدعو والهوى يسرى به  
حتى إذا القانون رام قصاصه  
قم لا تقم في مصر واعص قضاءها  
هذى مشيئتنا فهاجر - يالها  
فمضى إلى «دار السعادة» مكرها  
أما العهود فكان يخطي عدها  
حتى إذا حان الوفاء تقشمت  
صاحوا وما شيمي سوى بوق به

يحلوه به للصادح التفريد  
فطفقت أبدى حبه وأعيد  
وأقرأني قد جنيت شهود  
ألقته بين المجرمين جدود  
وعليه يثنى إن هجاك «فريد»  
هذا يسايره وذاك يقود  
في نهجه رغم الضلال رشيد  
حكم الغرام وأنه لشديد  
وحجاه بين مضليليه شريد  
قالوا ارتحل عنا وسوف تعود  
إنا وإن لم تبغ ذاك نريد  
من هجرة لك بعدها التمجيد  
والشيخ يقسم إنه لسعيد  
فرحا وهل للكاذبين عهود  
سحب الوعود وملوهن وعود  
نفخوا فأصغى أحرق وبليد<sup>(١)</sup>

(١) شيمي هو إسماعيل شيمي المحامي .. من كبار الحزب الوطني توفي عام ١٩١٢ .

قالوا «المؤيد» نالهم بدسياسة  
ورموا فتاهم بالخيانة عليهم  
لو صح ما جاءوا به فرئيسهم  
وكذا وكيل الحزب لطفى إنه  
ما كان لى نشر الذى أنشأته  
أفتى به وأقره قانونه  
فبدا على وجه «اللواء» ومثله  
وهما ومثلهما بمصر قادة  
الله يعلم والمؤيد أننى  
هذى صحائفى التى سطرتها  
هل كان غيرهمو بها متهللا  
«دار الخلافة والصراط» وغيره  
ضمنتها «وطنيتى» وأتيت ما  
وأقمت فى «دار السعادة» أشهراً  
وهناك لاقيت الرئيس فسرره  
ثم ارتحلت إلى جنيف وليس لى

من أجلها للسجن ظلما قيدوا  
ينجون إن نكروه وهو بعيد  
فى الخائنين بحكمهم معدود  
شر الكتاب برأيه معقود<sup>(١)</sup>  
فى «دنجرا» لولاه وهو شهيد  
وهو «الحامى» الأشهر المشهود  
فى رأى «لطفى» والرئيس سديد  
شيطانهم فى حربهم معبود  
ما كنت عما ينهاجون أحييد  
بعد الرحيل وأمرها معهود  
لينالهم من نشرها تحميد  
زعمت بأنهم الكرام الصيد<sup>(٢)</sup>  
يربو على زلاتها ويزيد  
خمسا طوالا ما بهن سعود<sup>(٣)</sup>  
أنى لمولاه الأمير أكيد  
فى غير تحصيل العلا مجهود

(١) أحمد بك لطفى الحامى من كبار رجال الحزب الوطنى، وهو احد الذين ترانعوا امام المحكمة فى قضية إبراهيم الوردانى.

(٢) دار الخلافة جريدة وصراط مستقيم مجلة تصدران فى تركيا، وقد مكنتا الغاياتى من الكتابة، وهماو يهاجمهما.

(٣) دار السعادة من أسماء الأستانة أو اسطنبول

وأمدنى قوم لهم فيهم يد  
ودعا إلى باريس داع قائلًا  
أقدم فنحن جماعة قد أجمعوا  
لك عندنا إما أتيت مكانة  
ما العلم تطلبه بمجد مثلما  
لا ترتجى مصر من العلماء ما  
فدع العلوم وسر على ما اختطه  
جاهد بجانب قادة لك بينهم  
انا عهدنا فى يراعك يقظة  
فاشرعه معتضدا با فالنيل من  
وإذا أبيت فما لنا بك حاجة  
فأبيت بعد مفاوضات بين يا

\* \* \*

قالوا اشترى قلمى الأمير وأرسلوا،  
وأنت رسائلهم إلى وحشوها  
ما كنت أول من عليه تقولوا  
لم أنس أنى كنت بينهم ولى  
ولو استقر بى المقام لديهمو  
أبصرت بعد فراقهم أن البلا

نحوى سهامها فاتها التسديد  
كذب وجهل فاضح ووعيد  
لى كل يوم فى الأباة نديد  
قلم إلى طعن الكرام مقود  
ما كان لى عما ألفت حيود  
د تكاد مما يجرمون تميد

فحمدت أيام الفراق وإن ذكا  
ولفظتهم لفظ النواة وإن غدا  
فى القلب من آلامهن وقود  
لى منهمو بعد الوداد صدود

\* \* \*

حسبى كفاكم ما مضى يا قوم من  
اليوم أعلم أن ما مضى انقضى  
فليغد حالكه لحالى عبرة  
إنى فدا النيل لو أن الذى  
لا يسعد البلد الشقى سوى فتى  
النيل حاجته إلى أهل الحجا  
إن الحوادث أنبأتنى أنكم  
ترجون تحرير البلاد وانتمو  
إن هب دونكمو بصدق عامل  
تبغون ألقاب الرجال ومالكم  
لستم بنى مصر ولكن عصابة  
دخلاء لكن تزعمون بأنكم  
النيل كان «مصطفى» فى غبطة  
ويحى على أسد تضمنه الثرى  
زعموا بأنهم الرجال وجرهم

رزه به ظهري الضعيف مؤود  
وعليه من نسج الشقاء برود  
عبر الحياة بها الحياة تجود  
تبغون بالحسنى عليه يعود  
بالعلم يرفع مجده ويشيد  
وحجاكمو لو تسمعون فديد  
وإن اعتزيتم للرجال قرود  
حرب على الإصلاح وهو وليد  
قلتم عدو للبلاد لدود  
عمل كأعمال الرجال مجيد  
بوجوهكم أيام مصر سود  
فى مصر آباء لها وجدود  
فمضى وأنتم فى السبيل قعود<sup>(١)</sup>  
فإذا ذئاب بعده وفهود  
ما صاح أطفال وصفق غيد

(١) مصطفى هو مصطفى كامل.

حتى استباحوا هتك حرمة ومصطفى  
 لو كان فيهم للوفاء سجية  
 هل مصطفى إلا فتى كرم غدا  
 هو خالد فينا بفكرته التي  
 ولقد أجل مكانه خصماؤه  
 كنا بحكمته الكبيرة إخوة  
 إخلاصه في العاملين وصدقه  
 أولى بمجموع الثناء وإن أبى  
 عوذت بالعيد العزيز وربّه  
 عيد سناه غائب عن ناظري  
 «عباسه» ابتسم الزمان بوجهه  
 كم ساء جد النيل لولا أنه  
 فرع زكا وأصوله كرمت فجذّ  
 لو لم يقم بالنيل من كفروا به  
 كفرانهم جلب البلاء على البلا  
 بادوا ولكن في البلاد عصابة  
 هي حجة المحتل وهي له يد  
 تجنى وتزعم أنها تدعو إلى

وهجوه لما بات وهو فقيد  
 ما كان هذا الطعن والتنديد  
 للنيل بالنفس الأخير وجود  
 تحيا ويردى شائئ وحسود  
 وبكاه قبط بيننا ويهود  
 بعض لبعض ناصر وودود  
 في القائلين ونهجه المحمود  
 عبدالعزیز وأحمد وفريد  
 مصر وإن أزرى على حقود  
 وله بمكنون الفؤاد شهود  
 والنيل طاب به عليه ورود  
 قد عاد وهو بيمنه مجدود  
 قد سما وأب سرا وحفيد  
 ما كان للمحتل فيه وجود  
 د فأوشكت لولا الأمير تبید  
 هي بعدهم أولى بها التصفيد  
 وبقاؤها لبقائه توطيد  
 نهج قتيل الجهل فيه شهيد

هل يؤخذ الشعب البريء إذا جنى  
هى تسعة أو عشرة لكنها  
تبغى الأمير بكيدها لكنه  
وهى التى تستاقه وتقود؟  
عدد بجهل الجاهلين عديد  
سهم إليها بالردى مردود

\* \* \*

الله حسبك أيها المولى الذى  
أعيادك الفيحاء غر مواسم  
ويداك بالآلاء فائضة فكم  
النيل فى شوق إلى دستوره  
أنى لأرجو أن يكون لعهد  
وأراك ترجو ما رجوت وإنما  
فعساك تبلغ ما تؤمل من منى  
تعتز مصر بملكه وتسود  
تجدد الآمال حين تعود  
ينمو بها فرع ويورق عود  
فمتى يكون له به تعييد  
بيمينك الفياضة التجديد  
تقضى السياسة دوننا وتريد  
يغدو لعرشك بينهن خلود

على الغاياتى

الطالب بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة جنيف

## رثاء إمام العبد<sup>(١)</sup>

علم الغاياتى وهو فى المهجر بوفاة إمام العبد، وكان قد بلغه إن إماما قد اغتابه، وافترى عليه بعد فراره، ومع ذلك رأى أن يرثيه بقصيدة ولكنه لم يتمها، وهذا ما نشره منها.

أرثى إماما راعفو عن اساءته  
وأندب البؤس فـيـه نـدب مـسـبـتـئـس  
ما كدت ألمح فى ليلاته غسقا  
حتى رأيت نذير الفجر فى الغلس  
يا أسود الناس وجهها بين أظهرنا  
قد كنت فى شفة العلياء كاللعلس<sup>(٢)</sup>  
تركت بيض المعانى وهى باكية  
لم يبق فـيـهـا وجـيـب النفس من نفس

(١) اللعس: سواد مستحسن فى الشفة.

(٢) وإمام العبد: من الشعراء البائسين، وسمي بالعبد لسواد وجهه، وكان يقول:

وسوداء كالليل البهيم عشقتها      لأجمع بين الحظ واللون فى عيني  
إذا ضمنا ليل تبسم تفرها      فلولا سناه بت فى جنح ليلين

وكان زجالا، وصديقا لحافظ إبراهيم، وهناك نواتر كثيرة بينهما وتوفى عام ١٩١١

## رثاء الشيخ على يوسف (١)

اليوم بات «على» فى الثرى ومضى  
ناعيه فى مصر يعنى للورى مصرا  
فهل سبيل إلى در فأنظمه  
فى خير من نظمت أقلامه الدرا؟  
أم هل سبيل إلى دمع فأنثره  
فرب دمع جرى منشوره شعرا؟  
ويح القريض عصا والدمع طارعه  
فلست أملك لا نظما ولا نثرا  
جل المصاب فضل الفكر واستعرت  
نار الحشا فاستحالت أدمعى جمرا  
فكيف أرثى فقيدا، ليل مصر غدا  
لما توارى سناه يندب البـدرا  
وطال سهد الحمى من بعد رقدته  
وسوف يمسى طويلا ينشد الفجرا

(١) توفى الشيخ على يوسف فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩١٣.

ويل لمصر وأهلها فما تركت  
بها المنايا فتى يبقى لها ذخرا  
ما كاد يزهر غصن بين روضتها  
إلا وقد هصرته كفها هصرا  
راح «الإمام» وولى «مصطفى» ومضى  
إلى سبيلهما جمع بها برا (١)  
وكان بعدهم وللنيل تعزية  
لو دام فيه «على» يجبر الكسرا  
فما العزاء وقد ولى على عجل  
واستقبى القبر لما استدير القصرا  
وأصبح الترب ممساه ومصبحه  
وكم أرى الترب حراً واحتوى سرا  
والناس من سونة فيهم ومن ملك  
فيه مقيمون بعد الصدمة الكبرى  
ولست أدري ولا يدري أمرؤ خبرا  
عمن مضى من بنى الدنيا إلى الأخرى  
ويل الحياة وويل الموت إنهاة  
على السواء بلاء للورى طرا

(١) الإمام هو الإمام محمد عبده، ومصطفى هو مصطفى كامل.

فلست أحسب عيشاً لم يشبه أذى  
ولست أحسب موتاً لم يكن قهراً  
والمرء محتضر من يوم مولده  
يجود بالنفس حتى يسكن القبرا  
وما الحياة حياة في حقيقتها  
لكنها الموت غر المرء فاغترأ  
فما الوجود؛ ومعناه وغايته  
إن كان في المبتدا والمنتهى صفراً  
وما عزاء بنى الدنيا وحظهمو  
من الحياة عليهم بالردى كراً  
قالوا عزأؤهمو أن الجميع إلى  
هذا الفنا، فلا ظلمسا ولا جورا  
فليت شعري أفيما قيل تعزية  
غير الرضا بقضا من دبر الأمرا؟  
سبحانه قد رضينا ما يقدره  
وإن إبينا جرى مقداره قسرا  
قضى على النيل أن تجرى مدامعه  
يوم الأسى فجرت مثل الدما حمرا

---

وغادر الوجد أهليه وجيرته  
يبكون من سوف تبكيه العلا دهره  
والمسلمون أقاموا فى مساجدهم  
رائين يتلون فى تأبينه ذكرا  
ومن يكن كعلى فى مكانته  
وكان تاريخه فى قومه فخرا  
وكان ذا أثر مثل «المؤيد» فى  
مصر هداها وكانت قبله حيرى  
وكان للدين والدنيا إذا نزلت  
بنا الخطوب حساما حالف النصرا  
بكيتته، وبكاه كل ذى أدب  
فمثله بيكا أمثالنا أحرى



منبر الشرق فى ١٩/٩/١٩٥٢

### جنيف (١)

يحق لأمة هذى علاها  
وأن يسمى إليها بالتهانى  
وأن تزهى بمجديها وتبقى  
بأن ترقى إلى هام الشريا  
وأن تهذى الشناء وأن تُحيا  
مدى الأيام باسمة المحيا



(١) احتفلت جنيف عام ١٩١٤ بالعيد المئوى لانضمامها إلى الولايات السويسرة، وفى هذه المناسبة نظم الشاعر هذه الابيات يوم ٥/٧/١٩١٤، التى أبدى إعجابه فيها بجنيف، وأرسلها إلى رئيس حكومة جنيف إذ ذاك هنرى فازى، فشكره عليها.

منبر الشرق ٢٨/١١/١٩٥٢

## الوحدة الوطنية (١)

أتشقى بيننا مصر  
ونحن بنو الألى قهرو  
عتا العاتى لدولتهم  
ودار الدهر دورته  
وأمسينا ولا خمر  
سوانا رب منزلة  
ولا يرثى لها حر؟  
الورى وعداهم القهر  
ودان البر والبحر  
فولى ذلك النصر  
وأصبحنا ولا أمر  
ورب ديارنا الغير

\*\*\*

سئنا العيش فى أرض  
إذا ما النيل فاض بهـ  
بها طالت ليالين  
وبتنا نشتكى دهر  
نلوم الأجنبى على  
ولو كنا كما سلفو  
لكننا مثلهم أسيد  
سماها مثلها قفر  
أضر بفيضه الجور  
ولا نجم ولا فجر  
وعندى أننا الدهر  
أذى فيه له عذر  
نبر بمصر ما بروا  
نكر بها كما كروا

(١) هذه القصيدة نشرتها الأهرام فى ٨/٤/١٩١٤ ومعها كلمة يدعو فيها الغاياتى إلى الوحدة الوطنية،  
وضم الأحزاب، فى حزب وقد نقلت القصيدة عن منبر الشرق.

يهاب الدهر سطوتنا  
 فقد بلغوا بوحدتهم  
 وأولتهم معارفهم  
 ولكن بعدهم حلت  
 وقام الجهل يأمرنا  
 نسينا خير وحدتنا  
 وخلصنا الدين عن خطأ  
 وما التوراة تفرقه  
 ومصر قبلها وطن  
 وما الأحزاب مسعدة  
 إذا ما طاب للباغي  
 وأصبح بين ظهرينا  
 وقد فاضت دسائسه  
 يميننا ويلهينا  
 وليس لنا إذا ما لم  
 ولا أمر ولا نهى  
 حظوظ الناس في يده  
 له في أرضنا حـول  
 ويعرو غيرنا الذعر  
 مكانا دونه البـدر  
 علا تبقى وإن مروا  
 عرى فعرى الحمى شر  
 وغاية أمره خسـر  
 وما في دونها خير  
 يفـرقنا ولا وزر  
 ولا الإنجيل والذكر  
 لنا طرا به فخـر  
 ولا زعماءها الكثر  
 بمصر الكر والفـر  
 له من دوننا الصـدر  
 فلا يدري لها غور  
 ويفرينا فنفتـر  
 يشأ سر ولا جهـر  
 ولا طى ولا نشـر  
 ومنه الحلو والمر  
 وبطش زاده الكبـر

إذا ما صال صائله      بدا العدوان والغدر  
فلا الدستور في أمن      ولا الوزراء والقصر  
ولا استقلال في بلد      به العادون قد قروا  
معاقله لهم حصن      ونحن لجندهم أزر  
ولولا أننا شامع      يحارب شطنا الشطر  
لما أضحى لهم ظن      ولا أمسى لهم ذكر

\*\*\*

كفى مامر من جهل      أباه الدين والفكر  
ومن خلف إذا استعصى      دواه فإنه القبر  
لنصبح واحدا فردا      فلا زيد ولا عمرو  
فنحن الكل إخوان      لنا مصر، لنا مصر



## عودتي بعد هجرتي

مهده الغاياتي لقصيدته بقوله « وجدت بعد أن مرت خمس سنوات على الحكم علينا في قضية « وطنيتي » أننا طلبنا، وقد سقط قانوننا هذا الحكم، أن نعود إلى مصر زائرين لنرى الأهل بدمياط، ونقضي بعض الشؤون الصحفية في القاهرة والإسكندرية وفي منطقة قناة السويس، وكان معنا تفويض من بعض الصحف اليومية الكبرى بجنييف لنوافيها برسائلنا من مصر مدة إقامتنا بها، وقد بينا كل ذلك للمسؤولين عند تقديم الطلب، فخابروا من بيدهم الأمر في الحكومة المصرية وجاءهم الرد بالموافقة، فغادرنا جنيف ميممين شطر الوطن يوم الخميس ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ وقبل الرحيل بيومين اثنين نظمنا قصيدة بدأناها بشيء من الغزل وغير الغزل، وعبرنا فيها عن حالنا الخاصة والحال العامة إذ ذاك، وكل معنى من معانيها، أو مرمى من مراميها يحتاج إلى بيان لا يخفى على قراء ذلك العهد، ونحن لأول مرة ننشرها فيما يلي، وعنوانها « عودتي بعد هجرتي »:

قسما بقدك يا فتا	ة وأنه قسما أبر
ما الغصن داعبه النسيم	فماس مبتسم الزهر
والسمهري اللدن يع	بث بالنفوس وقد خطر
إلا ومن آيات قسدا	ك فيهما ما قد بهر
خطواته غادرن حب	ات القلوب على خطر
حاولت عند لقائه	حذر الهوى غض النظر
لكن برغمي نظرة	سبقت فلم يغن الحذر

فرأيت في هذا القوا  
ولرب لمحظة ناظر  
م من الرشاقة ما سحر  
وردت به حيث القدر

\*\*\*

واها لخنجرك الذى  
هذا بخافية الطعا  
موتان أخفى واحدا  
ويحى ألى يارب بيد  
هلا ارعويت بما تقض  
ووعيت ما هو فى صحا  
وذكرت ما ذهب الزما  
حتى غدوت على الصبا  
فى كل يوم مـوتة  
عجبنى لهذا العيش في  
من مخبرى عنى في  
أنا بين سكان القاصو  
لولا فـؤاد خافق  
فوق الردينى استقرر  
ن مضى وذاك بها أقرر  
سرا به الثانى جهر  
نهما فؤاد محتضر  
ى من صبابات ومر  
ئفى القديمة مستطر  
ن به من العيش الأغر  
أشكو معالجة الكبر  
لى من تباريح الضجر  
به الموت مر وما استمر  
نى لست أدرى ما الخبر  
ر كبعض سكان الحفر  
بالحب قلت مضى العمر



لله در الحبيب يـصـ  
هو سلوة القلب الحـز  
لم يبق لى هم الحـيا  
غادرت أوطانى فأش  
وقد انتهيت إلى جنـيـ  
وهجرت وصل الشعر لما  
واليوم يممت الحـمـي

فوفى مجاريه الكدر  
ين وزهرة القلب النضر  
ة سواه من حال تسر  
قانى وأسعدنى السفر  
ف برحلة فاضت عبر  
ما بت مضطرب الفكر  
فوفى القريض على الأثر

\* \* \*

أنا ذو غرام بالرشا  
ويلذ لى وصل الكتـا  
ولقد أحب من الجمـا  
فى كل معنى من معـا  
وأجل ما أبغـيـه أن  
لأرى به مـا دق من  
فـالـكـون صفـحـة كـاتـب  
والعلم قارئها الذى  
فإذا علمت فدع مقـا  
وانظر إلى معنى الوجـو

قة فى المعانى والصـور  
ب كوصل ربات الحـفر  
د كما أحب من البشـر  
نى الحسن يحلو لى النظر  
أقضى من العلم الوطر  
هذا الجمال وما استتر  
فى طيها آى كـبر  
ينبى بما فيها استطر  
لة كل كـيـذابـة أشـر  
د وذر أساطير السـير

فالدین بالعرفان لا بصحيفة ملئت هذر  
هذى سبيل العارفي ن ومن درى فقد اعتذر

\*\*\*

قد صفتها عربية حاكت قوافيها الدرر  
ورفعتها نحو الحسي ن وقلت دونك ها عمر (١)  
أيامه أيامه وكلاهما بالنيل بر  
هذا مخلصه القدي م وذاك واقبيه الخطر  
عمر بحد حسامه وحسين بالرأى الأغر

\*\*\*

رام العدا شرا بمصر ن وساء مبتدأ الخبر  
وتآمر المتآمرو ن وبئس ذاك المؤتمر  
وروت لنا «ولف» أحبا ديثا تصدقها البقر  
وتقوّلوا فى الدين ما شاءت سياسة من فجر  
واستأجروا نفرا يصح فحان أشبه بالحممر  
صوت يصم ولا تدب رفى الأمور ولا بصر  
يدعو إلى القرآن تض ليلا فتلعنه السور  
ويهم حيننا باسم مص م وهمه جمع البدر  
بالجهل والتغرير أو بالطيش والهوس اشتهر

(١) الحسين: هو السلطان حسين كامل الذي تولى حكم مصر في الفترة من ١٩١٤-١٩١٧.

ليصبح كما شاءت حما قته فما ضر القمر

\*\*\*

النيل والأهرام قد  
وتبادلا صدق الهوى  
وأتى الحسين فحولت  
أولى الكنانة ما ترو  
وجرت يدها بالندى  
أمسى حديث عطائه  
وبجوده الزمن الأخير  
من لى بلثم يمينه  
فلو أننى قبلتها  
أعددتها للدهر لما  
ومن استجار لدى الخطو

رفعا لواء المنتصر  
رغم العدو المنتحر  
حسناته مجرى القدر  
م من الحماية والظفر  
حتى استحى منه المطر  
أحلى أحاديث السمر  
على القديم قد افتخر  
وهى الرجاء المدخر  
ما حام حول النفس ضر  
شمتة وقد اكفهر  
ب بعزها فقد انتصر

\*\*\*

مولاي ياسلطان مصر  
الشوق والأمل المجد  
جاءت وقد مضت «السند»  
ولانت أولى بعهد تو  
خدعته خادعة المقام

رويا نداها المنهمر  
ولو عة القلب الضجر  
ون الخمس» بالعبد المقر  
بتة وأجدد من غفر  
ل وغرره ذاك النفر

ثم انثنى بعمد النوى  
وجرت يراعته بما  
وإليك سار به الجوى  
وراءه أهمل وولـ  
وله بدمياط قلو  
لولا الرجاء أودى بها  
فأنله مأمول الرضا  
ورضاك مثل نذاك لا

\*\*\*

ما للعدا مكروا فنا  
ورجعت مسعود الخطا  
ل الويل منهم من مكر  
ومضى الشقى إلى سقر  
وكونى بربك من وزر  
الله دون سهامهم

\*\*\*

من رام نيلك بالأذى  
بلغتها أمالها  
نالتهم مصر بما أسر  
ووقيتها عن غدر  
إن رامك العادى بشر  
ولتشكرنك أرضها  
وسماؤها فيمن شكر

\*\*\*

## استعطاف

يارئيس الديوان قد بعثتني  
لمعاليك باعـثات الرجاء  
جئت أشكو الزمان شكوى أديب  
نسبته المنون في الأحياء  
قال أهلى وقد تنكر دهرى  
لذ بشكرى فى دولة الأمناء (١)  
فهو باب الحسين باب الأمانى  
وإليه انتهت علا الرؤساء  
قلت إنى لائذ بحماماه  
فحماماه حمى الندى والوفاء  
كل غاياتى عنده وهو عندى  
غاية نلتها من الجوزاء  
فليدم فى حظيرة الملك محمو  
دا برغم الحسود والخصماء

(١) العنوان من اجتهادي، وشكري فى البيت هو شكري باشا رئيس الديوان السلطاني «السلطان حسين =

## كتاب « على هامش الحج »

### لعلى الغاياتى

ط أولى ٢٣ مارس ١٩٤٧

#### فى رحاب النبى (١)

أنا عاشق محمد      ولآله ولصحبته  
وأحب ما فى العيش عند      لى ساعة فى قربه  
سر الوجود هو الحبيب      ب وقلبه من قلبه  
نور على نور تجلى      من سماء محبه  
فاخشع أمم بهائه      فبههاؤه من ربه  
لبيتته نا دعا      وإذا دعاك فلبه  
فهو البشير لقومه      وهو الشفيع لحزبه  
البرر من آياته      وهدى الورى من دأبه  
هو رحمة للكون طرا      شرقه أو غربه  
إنى وقفت ببابه      والظهر ناء بذنبه

= كامل»، والحكاية أن الغاياتى عندما جاء إلى مصر ونزل بالإسكندرية عام ١٩١٥، توجه إلى قصر السلطان وسلم شكرى باشا قصيدة «عودتى بعد هجرتى» وهى فى مدح السلطان، وكان قد جاء من جنيف فى مهمة صحفية ولزيارة أهله، وقد استراب رئيس انوزراء حسين رشدى باشا فى أمره، فأمر باعتقاله، وسجن فى قسم محرم بك، ومرت عليه عدة أيام ولم يطلق سراحه، فأرسل هذه الأبيات من سجنه إلى شكرى باشا ليعطف عليه ويخلصه من هذه البرطة.

(١) العنوان من اجتهادى.

---

ناديته مستشفعا  
ورجوت عز المسلمي  
فدعنا معى ملك اللو  
أحبابه فإذا انقضى  
فقضى لبانة صبه  
من بهديه وبطبه  
ك لهم إذا اعتصموا به  
عمرى انقضى فى حبه





oboiikan.com

## مؤلفات لصاحب الدراسة

- الديوان المجهول لخليل مطران - دار الفرجاني ١٩٨٥ .
- « ما هنالك » من أسرار بلاط السلطان عبدالحميد - تحقيق ودراسة المركز العربي للإعلام والنشر ١٩٨٥ .
- صبرى السريونى - سيرة تاريخية وصورة حياة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ .
- فصول من الصحافة الأدبية - دار الفرجاني ١٩٨٩ .
- على أدهم بين الأدب والتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .
- قبس من وحى التراث - دار الفرجاني ١٩٩١ .
- الهلال مائة عام من التحديث والتنوير دار الهلال ١٩٩٢ .
- جرجى زيدان - « سلسلة نقاد الأدب » الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ .
- محمد لطفى جمعة فى موكب الحياة والأدب - عالم الكتب ١٩٩٣ .
- محمد صبرى « سلسلة نقاد الأدب » الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ .
- ليلة باسمه فى حياة مى - دار الفرجاني ١٩٩٦ .
- سيم العشق والعشاق - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠ .
- بيولوجرافيا أعمال محمد صبرى السريونى - المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣ .
- محمد لطفى جمعة دراسة بيولوجرافية ٢٠٠٥ .

---

● أفراح ملوك ورؤساء مصر من محمد على إلى محمد حسنى مبارك مكتبة  
جزيرة الورد ٢٠٠٧ .

دراسات مطولة تصدرت بعض الكتب

● تذاكار الصبا - محمد لطفى جمعه - عالم الكتب ١٩٩٩

● حوار المفكرين - رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفى جمعة - عالم الكتب  
٢٠٠٠ .

● المروءة والوفاء « مسرحية شعرية » للشيوخ خليل البازجى الهيئة العامة لقصور  
الثقافة ٢٠٠٦ .

● على بك أو فيما هى دولة المماليك « مسرحية شعرية » الطبعة الأولى المفقودة -  
الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧ .

● ديوان وطنيتى وأشعار أخرى لعلى الغاياتى - مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠ .



## المحتويات

٣	تمهيد
٥	على الغاياتى وقضية وطنيتى
٢٨	نقض وطنيتى
٣٦	شعره
٤٥	وطنيتى
٤٧	مقدمة الطبعة الثالثة
٤٩	مقدمة الطبعة الثانية
٥٠	سم الله الرحمن الرحيم
٥٢	يهداء الكتاب
٥٤	كلمة حضرة محمد بك فريد - تأثير الشعر فى تربية الأمم
٥٧	كلمة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز جاويش - الشعر والشاعر
٦٠	للمقدمة
٦٥	للمرسليز
٧٣	للأنشودة الأولى «فرنسا»
٧٤	للأنشودة الثانية «الوطن»
٧٩	طيف الوطنية
٨٠	وطنى يناجى ربه

- ٨١ ..... على لسان الأمير - قبل خروج كرومر من مصر
- ٨٢ ..... على لسان كرومر - بعد تأليفه «مصر الحديثة»
- ٨٣ ..... مصطفى كامل في حياته ومماته آية الإخلاص
- ٨٦ ..... آية الأسف
- ٨٩ ..... الدستور العثماني إلى أمير المؤمنين
- ٩٠ ..... إلى فريد بك رئيس الحزب الوطني
- ٩٢ ..... الدستور وحديث شاعر الأمير
- ٩٤ ..... رب ذكرى هيجت شجناً
- ٩٨ ..... مسألة الأزهر يا حماة الدين ويحكمو
- ١٠٠ ..... قانون المطبوعات
- ١٠١ ..... إلى سمو الأمير والوزارة والأمة
- ١٠٣ ..... فتنة الأستانة
- ١٠٥ ..... إلى دنجرا قبل الإعدام
- ١٠٦ ..... إليه بعد الإعدام
- ١٠٧ ..... قضية دنشواى - إلى ناظر الحقانية
- ١٠٨ ..... بعد الحكم
- ١١٢ ..... بين قبول النقض ورفضه
- ١١٤ ..... تحية الشعب إلي فتى الحرية
- ١١٦ ..... إلى وزراء مصر

١١٨	نحن والاحتلال
١٢٠	آهة مصرى
١٢٣	السين يضطرب والنيل ينتحب
١٢٧	قناة السويس
١٢٩	آية الذكرى - للفقيد العظيم
١٣٤	آية أخرى
١٣٦	الحادث الخطير - قتل رئيس النظار
١٣٩	إلى القاضى العادل
١٤١	إلى خطيب السلام
١٤٣	يوم القضاء على إبراهيم ناصف الوردانى
١٤٤	تحية العلم
١٤٧	إلى العلم بعد شهرين
١٤٩	روزفلت بعد خطبته فى الجامعة المصرية
١٥٢	إلى خطيب جلد هول
١٥٣	نهضتنا النيابية بعد رفض مشروع القناة
١٥٤	حديث الجناب العالى
١٥٥	القوانين الجديدة
١٥٦	النشيد الوطنى
١٥٨	متفرقات فى هدى وضلال - آية السرور

١٦٠	آية العزاء
١٦٢	فتنة دمياط الدينية
١٦٦	مصرع الباغي علي أمته الخائن لوطنه
١٦٨	بين اللحظ والخال
١٦٨	في مرقص
١٦٩	الموت الكاذب
١٧٠	الموت المبتسم
١٧١	هجرتي
١٧٢	إلى حرية الشكوى بين العبد وربه
١٧٥	دعوة للقوة
١٧٦	عيد الكنانة . . عيد الأمير
١٨٤	رثاء إمام العبد
١٨٥	رثاء الشيخ على يوسف
١٨٩	جنيف
١٩٠	الوحدة الوطنية
١٩٣	عودتي بعد هجرتي
١٩٩	استعطاف
٢٠٠	في رحاب النبي
٢٠٣	مؤلفات لصاحب الدراسة